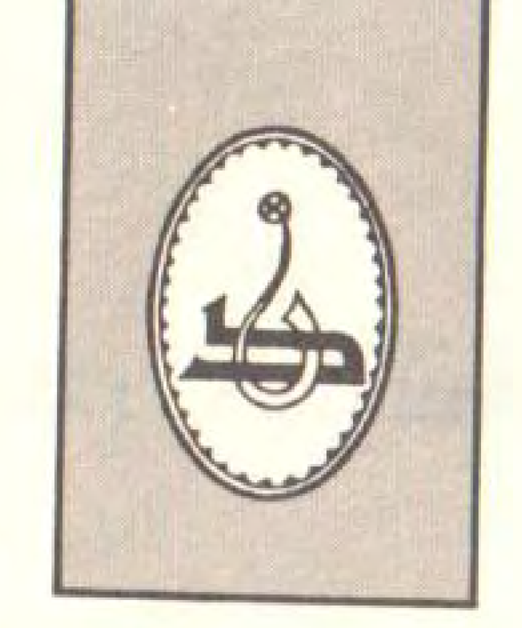


الكرة الحمراء

بسم الله الرحمن الرحيم



المغامرون الأذكياء

الكرة الحمراء

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
نعيم زرزور

دار النفائس

جميع الحقوق محفوظة لـ " دار النفائس "



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب. ١٤/٥١٥٢
فاكس: ٨٦١٣٦٧ - هاتف: ٨٠٣١٥٢
أو ٨١٠١٩٤ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
الطبعة الثالثة: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بطل الملاكمة

كانت القاعة المقفلة المخصصة للملاكمة غاصة بالمتفرجين . وكان الهتاف يتعالى بحياة البطل ، فيما كانت أكفهم تصطبغ بحمرة قانية ، كاد الدم ينفجر من شعيرات شرايينها . . . وسط الحلبة ، كان البطل يدور حول خصمه الجاثي على ركبتيه فيما كان الحكم يعد ، حسب الأصول ، حتى الرقم عشرة . . . حبس المتفرجون أنفاسهم عندما وصل الحكم الى الرقم ثمانية وحاول الخصم النهوض . ولكنه تعثر من جديد . . . وأنهى الحكم العد ويده اليمنى تمنع البطل من الاقتراب . . . وبصوت واحد ارتجت أركان القاعة بالهتاف والتصفيق .

كان البطل وليد ، وكانت المباراة من أجمل واهم مباريات الموسم الرياضي بالنسبة له ، كذلك بالنسبة لناديه . فقد تكرست بطولة الملاكمة للناشئين له لهذا الموسم . . .

ووسط ذهول الجمهور بما حدث ، تمت مراسيم إعلان الفوز . . . وقبل

أن يصعد عدد من المتفرجين إلى الحلبة ، التفتوا جميعاً إلى أحد أعمدة الإضاءة ورددوا مع الطائر المتكلم :

ـ وليد بطل . . . وليد بطل . . . بص . . . شوف . . . وليد عمل إيه . . .

واستمر فصيح يكرر هذه العبارة لحين عودة وليد من غرفة الملابس . . . كانت الجماهير لا تزال محتشدة لوداع البطل ، فيما انتظره أفراد الفرقة في السيارة . . . فما أن انطلقوا عائدين ، ارتفع صياح فصيح من جديد يهتف بحماس :

ـ بص . . شوف . . فصيح . . بص . . شوف . .

قهقه الجميع لهذا التصرف ، فقد عهدوا جميعاً مثل هذه التصرفات من فصيح ، فهو يحاول مدح نفسه بصورة مستمرة ، ويخص نفسه بما هو حق لغيره . . . اتجهت الانظار من جديد نحو أفراد الفرقة المنتظرين ، فيما كست حمرة محببة محيا ليلى الهادىء ، فأسرعت في أذن خالد قائلة :

ـ خالد . . . ألا يمكن إسكات هذا الثرثار ؟ ؟ .

كان فصيح قريباً منهم ، فهو لا يفارق كتف خالد إلّا نادراً ، لذلك تناهى إلى سمعه رأي ليلى فما كان منه إلّا أن صاح قائلاً :

ـ فصيح ثرثار . . . فصيح ثرثار . . . سرور حمار . . . سرور حمار . . .

أغرقت ليلى بالضحك ، فقالت وهي تغالب نفسها وتحبس ضحكة لم تستطع كبتها :

ـ ما هذا يا فصيح ؟؟ . . . مسكين سرور . . . حتى في غيابه لا يسلم من لسانك الصليت . . . وكلامك اللاذع ؟؟ . . .

كان عصام منشغلاً عن الحوار الدائر حوله ، فنظر إلى ساعة معصمه وقال :

ـ ما زال أمامنا متسع من الوقت . . . ما رأيكم بالذهاب إلى صالة « البليياردو » ؟

وقبل أن يسمع إجابة أحدهم ، تابع كلامه قائلاً :

ـ وعدني صديقي اسماعيل بن حافظ بك بست كرات من النوع الجيد ، وهي من آخر ما وصل إلى مخازن والده . . . أي من آخر دفعة مستوردة لحسابه من الخارج . . .

نظرت إليه ليلى متعجبة مستغربة . وقالت ببراءة :

ـ هدية قيمة ولا شك ، وإن كانت كميتها قليلة . . .

أثارت عبارتها ضحك خالد الذي قال :

ـ إني أحسدك يا عصام على صبرك . . . فقد تمكنت من إعادة الحياة إلى طاولة جدي القديمة . . . وذللت ما واجهك من صعاب . . . كان آخرها مشكلة الكرات وها هي في طريق الحل . . .

وافق الجميع على كلام خالد بهزة من رؤوسهم . . . وارتسمت على شفاههم ابتسامة حب ، فيما أطرق عصام خجلاً من إطراء خالد له وتشجيع الجميع . . . وغادروا القاعة يسيرون الهوينى متجهين إلى مبنى متواضع ، صغير نسبياً ، من أبنية النادي العديدة والمتنوعة ، فقال عصام وهو يغادرهم باتجاه معين . . . فيما تابع خالد وليلى سيرهم نحو السيارة :

- سأذهب لإحضارها . . .

ولج عصام ردهة المبنى فتلقاه مدربه بالقول :

- سيد عصام . . .

تهلل وجه عصام للنداء وتوجه نحو مدربه الذي تابع كلامه قائلاً :

- عصام . . . لقد حملني صديقك اسماعيل رسالة لك . . .

فوجيء عصام بالخبر ، وقال بنبرة حزينة تعبر عن خيبة أمله فيما ارتجى :

- رسالة ؟ أي رسالة ؟ . . .

أخرج المدرب من جيب سترته مغلفاً وسلمه إلى عصام وهو يردد :

- لم يستطع الانتظار أكثر ، لكنه ترك لك إذناً في داخل هذا المغلف وهو يطلب منك الذهاب إلى مستودعات والده لتستلم من أمين المستودع

ما وعدك به . . . علبة كرات كاملة !! . . .

ذهل عصام لما يسمع ، ونظر باستغراب إلى وجه المدرب قبل أن يسأله :

- علبة كاملة ؟ . . . اثنتا عشرة كرة ؟ . . .

ضحك المدرب وقال :

- نعم يا عصام . . . وليس كمية كبيرة . . . فأنت تستحقها منه بعد أن عرف أنك في حاجة لاستكمال مجموعة الكرات لديك . . .

استبدت الفرحة بعصام ، فشد على يد المدرب بكلتي يديه وهو يودعه وقلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه لشدة فرحه ، وانصرف مسرعاً إلى حيث ترك خالداً وليلى ، ليجد وليداً قد انضم إليهما . . . قدم عصام التهنئة إلى البطل ، الملاكم الجبار ، الذي احتضنه وبادله نفس الشعور ، وقبله عصام وهو يقول مازحاً موجهاً كلامه للآخرين :

- لقد سبقني وليد وحصل على لقب البطولة في الملاكمة . . . وبعد قليل سيحمل لقب البطولة فرد آخر من أفراد الفرقة ، وهو أنا . . .

قالها بعظمة وكبرياء ، وهو يرفع ذراعيه بعد أن ضم قبضتيها ، وهزهما بعنف فوق رأسه ، ونفخ صدره إلى الأمام . . . فقد شاركه الجميع فرحته وأمله بالفوز ، ولو أنهم انفجروا ضاحكين لحركته التهريجية . . . فتغيرت ملامحه وقال بجدية ظاهرة :

ـ لماذا تضحكون ؟ . . . كأنكم لم تصدقوا أقوالي . . . لا بأس . . . إليكم الإذن باستلام الكرات من مستودعات حافظ بك . . . علبة كاملة . . . أجل : اثنتا عشرة كرة من أجود الأنواع وأحدثها . . . .

تناول خالد الإيصال من يد عصام وقرأه بإمعان . . . وشاركه مع الجميع فرحته الغامرة ، وقال :

ـ لو مارست التمرين بالصبر والجلد الذي عالجت به ترميم الطاولة . . . حتماً ستصبح البطل بلا منازع . . .

أصغى عصام باهتمام إلى ملاحظة خالد ، ونظر بعدها في ساعة معصمه وقال بعدها بحسرة ؛ فقد كان مهموماً بأمر الكرات ، والآن أصبح يستعجل الحصول عليها :

ـ لقد تأخر الوقت . . . لاشك أن المستودعات قد أقفلت أبوابها . . .

التفتت إليه ليلى وقالت وهي تنظر في ساعة معصمها هي الأخرى :

ـ أمر بديهي . . . وهل كنت تنوي الذهاب لاستلامها الآن . . . ؟؟

ابتسم عصام وقال بشوق :

ـ لاتتصوري يا ليلى فرحي بهذه الكرات . . . لقد سعيت طويلاً للحصول على إحداها . . . واشتريت الكثير من أنواع أقل جودة



منها . . . ولكن . . . هذه المرة فالكرات من أجودها نوعاً وأدقها صناعة وأغلاها ثمناً . . .

أنهى عصام كلامه وهم يستقلون السيارة ، . . . وما أن غادروا باب النادي حتى قال وليد وهو يضع يده اليمنى على بطنه :

ـ أكاد أموت جوعاً . . .

ضحكت ليلى وأجابته :

ـ السيدة سعاد تعرف هذا عنك حق المعرفة . . . وقد أعدت لك طعاماً شهياً كنت ستحرم منه فيما لو كان النتيجة الفشل في إحراز البطولة . . .

* * *

شكوى غريبة

وصل الموكب المظفر إلى البيت ، وكانت السيدة سعاد والمفتش جميل بانتظارهم ، والشوق لمعرفة النتيجة يغمر كيانهما . . . وزال القلق عندما تعالى صوت فصيح يردد هتاف الجماهير تحية للبطل . . . وحول مائدة شهية أعدّتها السيدة سعاد لهذه المناسبة ، كان وليد يسهب في وصف اللحظات الحرجة التي واجهته لانتزاع الفوز من خصمه ، والكل مشدود الانتباه إلى حديثه . . . وانتبهوا إلى حديث المفتش جميل وهو يقول :

ـ . . . ومع ذلك . . . فقد سنحت لك فرصة ذهبية للقضاء عليه بالضربة القاضية في الجولة الثالثة ولكنك لم تنتهزها . . .

أجابه وليد مدافعاً :

ـ صحيح يا عمي . . . كان يجب الإسراع بتوجيه الضربة قبل ثوانٍ . . .

هز المفتش جميل رأسه بالموافقة وقال :

ـ عظيم أنك واعٍ لما حدث . . . فلو أسرعت لما أنقذه عد الحكم . . .

تنهدت السيدة سعاد ، وقالت تحاول تغيير الموضوع :

ـ ومع ذلك فقد انتصر وبالضربة القاضية أيضاً . . . ما الفرق بين

إنهائها في الجولة الثالثة أو في الجولة الرابعة كما فعل ؟ . . .

ابتسم المفتش جميل لتعليق زوجته ولم يحاول الرد على ملاحظتها لأن الحديث الذي كان يدور بينه وبين وليد هو حديث محترفين لا تملك السيدة سعاد الخوض في تفاصيله . . . بل لا يهمها ذلك في شيء . . . بعكس المفتش جميل الملاكم السابق الذي أحرز عدداً من البطولات أيام فتوته . . . وكان إلى جانب ذلك يتوسم في وليد الخير في ممارسة هذه الرياضة ، لذلك قال :

ـ كانت فكرة لا بأس بها يوم أعلن وليد احترافه . . . لقد حاربتموه جميعاً . .ولكنني لم أكن في جانبكم . . . كنت أتوقع له صعود سلم البطولة بثقة . . . لك تهنئتي يا وليد وأرجو ان تتابع التمرين لتتمكن من متابعة الصعود وإحراز النصر تلو النصر . . .

حضر أعضاء السيرك الحيواني ، سرور ، فصيح وفينو جانباً من الاحتفال على شرف وليد ، وعزَّ على فصيح عدم المشاركة في التهنئة البيتية ، لذلك هتف ، بعد انتهاء المفتش من كلامه بالقول :

ـ بص . . . شوف . . . وليد . . .

قبل أن يكمل فصيح عبارته ، كان المفتش والسيدة سعاد مغرقان بالضحك ، لذلك علق المفتش على هذا الموقف بقوله :

ـ ويلك . . . حتى هذه حفظتها ؟ . .

هنا انتهزت ليلى الفرصة لتخبرهم ما كان من فصيح بعد انتهاء المباراة ، فقالت وهي تضحك أيضاً :

ـ تصور يا عمي . . . لقد أرغم فصيح جميع الحضور على ترديد هتافه هذا :

« بص . . . شوف . . . وليد عمل إيه» . . .

كان فصيح ينظر إلى ليلى بعين واحدة ، وهو ينصت إلى ما تقول ، خاصة بعد أن سمع اسمه يتردد ، لذلك قال :

ـ وليد بطل . . . وليد عظيم . . . فصيح عظيم . . . سرور حمار . . .

تعالى صراخ سرور وهب من مكانه كمن لدغته أفعى ، فكشر عن أنيابه ، ولوح بقبضته مهدداً ذلك الثرثار . . . ولكن كيف السبيل إلى تنفيذ وعيده وقد ربض فصيح فوق رؤوس الجميع على قضبان الثريا . . .

التفت خالد إلى فصيح ورماه بنظرة غاضبة وتمتم قائلاً :

ـ فصيح قليل الأدب وحمار وثرثار . . . سرور مؤدب . . . عظيم . . .

صفر فصيح باستغراب وأخذ يردد وهو يصفر بعد كل مقطع أو جملة :

ـ فصيح قليل الأدب ؟ . . . (صفير) ؟ . . . (صفير) . . . سرور

مؤدب ؟ . . . ياه . . . سرور عظيم . . . بم . . . (صفير) .

قرب المفتش رأسه من رأس السيدة سعاد ، زوجته ، وهمس بأذنها قائلاً :

ـ هل لاحظت . . . لم ينس حرفاً مما قاله خالد . . . بل كان يعبر عن استغرابه أيضاً . . . إنه عجيب فعلاً . . . ذكي . . .

زال التوتر عن سرور وقبع بعيداً مزهواً باطراء خالد له ، وقد وضع ساقاً على أخرى ، فيما كان فصيح يرقب من أعلى تصرفاتهم جميعاً دون أن يغفل عن رصد حركات سرور خاصة ، وعندما لمحه يقوم بحركات انتقامية يعبر عن شماتته به ، ثار فصيح من جديد وأطلق لصوته العنان بالشتائم يكيلها لسرور .

وأراد أن يختم شتائمه بكلمة نابية ، لكن صداها ضاع في غمرة الضحك المتصاعد من حناجرهم . . . حتى أن بعضهم ، للمفاجأة ، انقلب على ظهره من الضحك . . . وعلى وجه سرور بدت الدهشة والاستغراب ، فوجم وظل قابعاً في مكانه دون حراك برهة ، وهو يتابع سيل الشتائم يكيلها له فصيح . . . فهو في الأعلى . . . وليس باليد حيلة ؟؟

هدأت عاصفة الضحك التي أثارها كلام فصيح ، وغادر الجميع غرفة المائدة إلى غرفة الجلوس ، يتقدمهم فينو ، كعادته ، وهو يلوح بذيله يمنة

ويسرة ، ويتحرك ببطء شديد ، فقد اثقل معدته من طعام السيدة سعاد الدسم الخاص بهذه المناسبة . . .

ولما استقر بهم المقام في قاعة الجلوس العائلية بادرهم المفتش جميل بسؤاله :

ـ نعم . . ما هو برنامج الغد . . . لقد طرأ تغيير على ما اتفقنا عليه ! . . .

نظروا إليه باستغراب فسأله خالد بلهفة :

ـ غداً موعد الندوة . . . ألن نذهب إليها ؟ ؟ . . .

كان المفتش يتوقع هذا السؤال ، ولهذا طرح الموضوع ، فقال مجيباً :

ـ بالطبع لن تذهبوا ! . . . لقد تأجل موعد الندوة إلى ما بعد إسبوعين من تاريخه ولهذا السبب أردت تنبيهكم إلى ذلك لتشغلوا وقتكم المخصص لها بأي عمل مثمر آخر . . .

اقترحت السيدة سعاد عليهم القيام برحلة ما . . . فقالت :

ـ ما رأيكم لو قمنا بزيارة حديقة الحيوان ؟ . . . لقد مضى وقت طويل على آخر زيارة قمنا بها إلى هناك . . . وقد نشرت الصحف نبأ وصول أنواع من الحيوانات النادرة إليها في الآونة الأخيرة . . .

ابتسم المفتش جميل وأثنى على اقتراح زوجته معبراً عن موافقته بالقول :

- فكرة رائعة . . . فأنا بدوري لا أقل عنكم شوقاً لرؤية الحديقة . . . آه . . . كيف تمضي الأيام . . . لقد مر زهاء خمس عشرة سنة على تاريخ آخر زيارة قمت بها إلى الحديقة . . .

راقت الفكرة للجميع فعبروا عن فرحتهم بالتهليل لها جماعياً ، حتى إذا ما هدأت أصواتهم تعالى صوت ليلى وهي تقول :

- نتناول طعامنا هناك ، إذن . . . إنه مكان جميل ومناظره خلابة . . . آه لو تشاهده يا عمي ؟ ! . . .

وقف وليد بعيداً عنها . وأخذ يردد كلماتها ويقلد حركاتها مثيراً عاصفة من الضحك ، فلما أحس بنجاحه في التقليد استرسل بالكلام قائلاً :

- . . . آه لو تشاهده يا عمي . . . البحيرة الهادئة . . . والبجعات تسبح على صفحتها الساكنة المياه بأمان واطمئنان و . . .

لم يستطع وليد إكمال الدور الذي كان يقوم بتمثيله ، فقد كانت أظافر ليلى قد انغرزت في عضد يده ، بعد أن تسللت إلى مكانه دون أن يدري بها . . . ابتعد صارخاً وهو يفرك مكان قرصتها ، ويقول :

- أعوذ بالله . . . أصابعها تلدغ أقوى من لدغات العقرب . . . يا لطيف . . .

كان عصام منشغلاً بكراته الجديدة ، فما أن هدأت عاصفة الضحك

التي أثارها تقليد وليد لتصرف وحركات ليلى . حتى قال عصام :

- إذن . . . أذهب أنا لاستلام الكرات وبعدها ألْحق بكم إلى هناك . . .

التفت إليه المفتش جميل وقال متسائلاً :

- كرات ؟ . . . أي كرات ؟؟ . . .

لا يخفي عصام ، أو أحد أفراد الفرقة أمراً عن المفتش ، أو عن السيدة سعاد ، لذلك قص عليه بغبطة وسرور قصة حصوله على الكرات . . . وكان المفتش يصغي بانتباه شديد إلى رواية عصام ، ثم أطرق ، بعد انتهاء حديث عصام ليقول باستغراب :

- حافظ بك المليونير الكبير ؟؟ . . .

ظن عصام أن المفتش يحاول ان يتذكر اسم الرجل ، فقال مؤكداً :

- نعم يا عمي . . . هو ذاته بشحمه ولحمه ، كما يقولون . . . هل تعرفه ؟؟ . . .

هز المفتش جميل رأسه مؤكداً معرفته به ، مرت برهة صمت قال بعدها :

- إني أعرفه . . . التقيت به منذ أيام في مكتبي . . جاء يبلغ عن حادث سرقة غريب من نوعه . . .

أثار الخبر اهتمام الأذكياء ، فقد زكمت أنوفهم رائحة مغامرة يتوقون لخوضها فبادر عصام بالسؤال :

ـ سرقة ؟ . . . يا إلهي . . . وهل سرقوا قصره ؟؟ . . .

رفع المفتش حاجبيه ، وهز رأسه بالنفي ، ولاذ بالصمت ، فتدخل وليد قائلاً :

ـ لا شك أنهم سرقوا محتويات مستودعاته الكبيرة . . .

قاطعه المفتش يؤكد ظنه وهو يقول :

ـ نعم سرقة من مستودعاته . . . وقيمة المسروقات لا تتجاوز . . . المئة دولار .

عقدت الدهشة لسان السيدة سعاد ، فرفعت حاجبيها وقالت بعد برهة مستنكرة فعله :

ـ أمن أجل ما قيمته مئة دولار يعطل أعماله ويذهب بنفسه للإبلاغ عن سرقة ؟ . . . ألا يعلم أن إجراءات الشرطة في حوادث مشابهة تحتاج للكثير من الوقت وهذا يعطل عليه كثيراً من صفقات رجل أعمال مثله ؟؟؟

نظر إليها المفتش ليقول لها متسائلاً :

ـ وهل يلام في نظرك لأنه أبلغ عن الحادث ؟ . . . على العكس تماماً أنظر أنا للأمر . . . فقد قدرته حق التقدير لقيامه بما يمليه الواجب في

حالات مشابهة . . . صحيح أن قيمة المسروق تعتبر غير ذات قيمة في حساب رجل ثري مثل حافظ بك ، بل من كبار أثرياء البلاد . . . ولكن تصرفه كان سليماً مئة في المئة . . . فلا يجب إخفاء الأمر عن الشرطة وعدم إبلاغه مهما كان الشيء المسروق عديم القيمة ، زهيد الثمن . . .

قالت السيدة سعاد مدافعة عن وجهة نظرها ، بغض النظر عن صوابها أو خطأها :

ـ لو سرق أحدهم مني مبلغ خمس ليرات مثلاً ، هل اتجشم عناء الذهاب الى مكتبك لإبلاغك عن سرقتها ؟؟؟ . . .

أجابها بهدوئه المعهود يشرح المواقف الوطنية البناءة :

ـ بالطبع . . . يجب أن تفعلي . . . إن الأمر بالنسبة لنا كشرطة هو قطع دابر الجريمة ومنع وقوعها . . . فإذا ما حصلت ، يجب محاسبة مرتكبها عظم الجرم أو صغر . . . إن حادثة سرقة خمس ليرات في حد ذاتها قد تبدو ، ولا شك لا قيمة لها . . . ولكن خلفياتها ، أي ما سيتبعها هو ما يثير اهتمامنا . . . الدافع للسرقة . . . كيف تمت ؟ ما قيمتها ؟ لماذا حصلت ؟ . . . لا يهمنا المبرر . . . لأن من يسرق الشيء الزهيد ، البخس لا يتوانى عن سرقة الثمين الغالي . . .

وببراءة الأطفال ، ونقاء تفكيرهم ومحافظتهم على وقت رجل الأمن قالت ليلى بدورها :

- ولكن في ذلك مضيعة لوقت رجال الشرطة والمباحث ، أليس كذلك يا عمي ، ألا يساهم بلاغ كهذا في إشغالهم عن حوادث أكثر أهمية ؟ . . .

وبنفس الهدوء ، أجابها المفتش شارحاً :

- لا يا ليلى . . . يجب أن تعلمي أن المبدأ هو الأساس في العمل ، وبما أن عمل الشرطة هو مكافحة الجريمة ، عليها إذن ملاحقة المجرمين والقبض عليهم . . . ولا يغيب عن بالك ان لكل منهم عمله . . . فللجرائم البسيطة رجالها وكذلك للجرائم الغامضة والمعقدة رجالها كذلك ، لهذا تريْنَ أن عدد رجالنا ، في جميع الميادين ، يتزايد باستمرار قطعاً لدابر الجريمة . . .

كان الجميع يتابعون الحديث بشغف بالغ ، فهم يتلقفون بنهم إرشادات وملاحظات المفتش جميل الغيور على مصلحة الوطن . . . وإن كانت أسئلتهم واستفساراتهم من قبيل طلب فهم الأمور وإدراكها على حقيقتها . . . ووسط هذا كله لم ينس عصام بداية الحديث ، فهو يريد الاطمئنان على مصدر كراته ، لأنه لم يحصل عليها بعد ، لذلك سمعه الجميع يسأل المفتش :

- ولكن ماذا سرق منه ؟ أعني ما نوع المسروق المبلَّغ عنه ؟؟

نظر إليه المفتش جميل متسائلاً عن سبب اهتمام عصام للموضوع :

- من ؟ . . . آه تعني حافظ بك ؟ . . . لقد أبلغ عن سرقة ثلاثة صناديق من كرات «البلياردو» . . . اختفت من المخازن بعد وصول كمية محدودة منها . . . لذلك فقد أدهشني ما أخبرتني به الآن من أن ولده اسماعيل أهداك علبة كاملة منها . . .

استغرب الجميع الحديث الذي يدور أمامهم ، وكان أكثرهم حشرية خالد الذي أراد معرفة ما يرمي إليه والده فسأله :

- وما وجه الغرابة في ذلك يا أبي ؟ . . . وما قيمة علبة كرات بالنسبة لتاجر كبير مثل حافظ بك ؟؟ . . .

تأمله والده مرة أخرى ، وفي عينيه ذلك الغموض الغريب ، فهو لا يريد أن يشغلهم بهموم الشغل وهواجسه الخاصة بالعمل ، وقال بعد برهة :

- قد يصبح لها شأن كبير إذا عرفنا أن كل الكمية المستوردة من هذه الكرات والتي لم يتمكن من الحصول على غيرها ، مئة صندوق فقط بقي منها سبعة وتسعون صندوقاً تحوي ألفاً ومئة وأربع ستين كرة بعد فقدان العلب الثلاث والمحتوية على ست وثلاثين كرة . . .

تنهدت السيدة سعاد ، وأرادت الخروج من بحث هذا الموضوع ، لذلك قالت بملل ظاهر ، متمسكة بوجهة نظرها السابقة ، على أنها كانت واضحة هذه المرة فيما تريد قوله :

ـ مهما كانت الأسباب والمبررات فلا زلت ألوم حافظ بك هذا ، بل استغرب تصرفه ؟ . . . ألم يكن بإمكانه تكليف واحدٍ من موظفيه الكثيرين لتقديم بلاغٍ بما جرى بدلاً من حضوره شخصياً ؟ . . .

ضحك المفتش لتعليق زوجته وقال مداعباً :

ـ عجيب أمرك والله . . . لماذا كل هذه النقمة على الرجل وكأنه ارتكب جرماً كبيراً بحضوره إلينا . . . على كل حال فقد ثبت لي شخصياً أن الرجل ، رغم ثرائه الفاحش ، شحيح بعض الشيء إلى حد البخل الشديد . . .

ابتسمت السيدة سعاد معتبرة أن وجهة نظرها قد انتصرت ، فقالت :

ـ ها قد قلتها بنفسك أن شحه ، بل تقتيره ، هو الذي دفعه للإسراع بإبلاغكم عن السرقة ، وشخصياً . . .

نفى المفتش جميل هذا الاستنتاج بحركة من رأسه ، وقال بشيء من الغموض :

ـ ليس هذا كل شيء . . . فقد أظهر تخوفه أيضاً من بعض الأمور الخطيرة في نظره . . . وقد كلفت بعض رجالنا بإجراء التحريات الضرورية للتأكد من صحتها . . .

أنهى المفتش جميل عبارته وعيونه تنظر إلى الساعة الرقمية في معصمه ،

بعد أن تناهى إلى سمعه رنين جرسها الخاص . . . هب واقفاً وهو يردد . . .

ـ سرقنا الوقت ونحن نتحدث . . . عليّ الإسراع الآن ، فانا على موعد مهم ويجب أن أصل إلى المكان قبل الوقت المحدد لاستقبال الآخرين . . .

أكمل المفتش عبارته وهو يتجه نحو السيارة التي انطلق بها إلى مكان الاجتماع المقرر . . . كان الباقون يودعونه ، كالعادة ، قبل أن يعودوا إلى اماكنهم لاستئناف حديثهم الطويل الذي بدا وكأن نهايته بعيدة المنال . . .

* * *

الإيصال المزور

عاد كل منهم إلى مكانه في قاعة الجلوس ، وعلامات الاهتمام ظاهرة على وجوههم جميعاً . . . وكان أكثرهم اهتماماً لما يجري عصام الذي قال :

ـ غريب والله ، هذا الموضوع ؟ . . .

التفتوا إليه جميعاً ، وعلامات الدهشة بادية على وجوههم . . . وكانت ليلى أكثرهم حشرية ، لذا بادرت أخاها عصاماً بالسؤال :

ـ وما وجه الغرابة في موضوع كهذا ؟؟ . . .

كان عصام شارد الذهن ، موزع التفكير . . . تشغله أمور بعيدة عن تفكير الجميع . . . فلم يهتم بما يدور حوله . . . فحادث السرقة عند حافظ بك لا يعنيه بقدر ما يعنيه الحصول على مجموعة الكرات الموعودة . . . لكن سؤال ليلى أعاده إلى الواقع ، فأجاب بعد لحظة تفكير . . .

ـ إنما أقصد . . . علبة الكرات التي وعدني بالحصول عليها صديقي اسماعيل بن حافظ بك .

أغلق على الجميع فهم مرمى عبارة عصام ، بمن فيهم خالد ، مع أنه

يتمتع بسرعة بديهة وسلامة منطق . . . فقبل أن يخوض في تفاصيل كلام عصام ، أعاد طرح السؤال عليه من جديد قائلاً :

ـ ما هو الغريب يا عصام . . .

عصام وحده قادر على فهم ما يجري . . . فهو صديق اسماعيل المقرب . لذلك استطاع فهم مشاعره أكثر من سواه ، فهو يتألم لحاله ويعبر عن أساه بالقول :

ـ مسكين اسماعيل . . . بعدما سمعته الليلة عن والده ، أدركت كم يعاني هذا الوحيد المسكين من بخل والده . . . ومع هذا يحرص على الظهور أمامنا بالمظهر اللائق . . .

كانت نبرات صوته وطريقة حديثه تعكسان الألم الذي يحس به تجاه صديقه واستطاع نقل هذه المشاعر الانسانية النبيلة إلى الآخرين ، لكن وليداً قال مستغرباً متهكماً بطريقة تمثيلية عهدوها فيه في مواقف مماثلة :

ـ اسماعيل بن حافظ بك ، المليونير الشهير ؟ مسكين !! إنها نكتة الموسم حقاً . . .

استاء عصام من تعليق وليد وسخريته ، فأجابه والغصة تخنق نبرات صوته :

ـ معك حق . . . فانتم لا تعرفون إلا المظهر فيه . . . ولا تعرفون ما أعرف . . إنها من الأسرار التي طلب مني المحافظة عليها . . . ولكنكم

لستم غرباء عني . . . وكلنا يفضي بهمومه للآخرين . . . والآن أجبرني تصرف وليد على قول ما لا بد من قوله . . . مع العلم أنني أثق ، تمام الثقة ، أن ما أقوله لكم الساعة يبقى سراً لا يطلع عليه أحد ، كائناً من كان . . .

وافق الجميع على ما قاله عصام ، وكانت لحظة سكتوا خلالها لإفساح المجال أمام عصام لإتمام حديثه ، إذا أراد ذلك ، . . . وبعدها تابع عصام حديثه قائلاً :

- هل تعرفون عن اسماعيل أكثر من المظهر الخارجي البراق الذي يطالعكم منه ؟ . . . سيارة فخمة . . . ثياب ثمينة . . . واسم كالطبل الأجوف له صدى كبير مع أنه فارغ فهو وحيد أبويه ، ووريث مليونير كبير معروف . . .

فقدت ليلى الصبر على معرفة النهاية ، لذلك قاطعته لتعلق بقولها :

- وماذا يريد أكثر من ذلك ؟ . . . لقد توفرت له سبل الحياة كلها . . . فكيف تصفه بالمسكنة ؟؟ . . .

تنهد عصام وظهر على محياه الأسى من تعليق ليلى ، فقال موضحاً :

- مهلاً يا ليلى . . . لا تخلبك المظاهر الخداعة . . . دعيني أكمل كلامي واحكمي بنفسك في النهاية . . .

ران الصمت على الجميع وأنصتوا لما يرويه عصام الذي قال :

- بالنسبة للسيارة فهي هدية من أمه بمناسبة عيد ميلاده الأخير ، وهي ، على فكرة ، مطلقة من والده وتقاربه غنى و . . . وعندها ثروة طائلة تغدق منها على وحيدها الكثير ، فلا تدعه يحتاج لأموال والده . . . من الجوارب حتى أفخم بذلة . . . وأخيراً السيارة قامت هي نفسها بشرائها له . . .

استبد بهم جميعاً العجب ، ولكن ليلى لم تتمكن من البقاء صامتة أكثر من ذلك ، وهي تسمع تفاصيل هذه القصة الغريبة ، فقالت :

- شيء لا يصدق . . . هل أسمع إحدى القصص الخيالية . . . ووالده ألا يقدم له شيئاً ؟ . . .

ابتسم عصام وقال بنبرة تضج بالسخرية :

- بلى . . . فقد خصص له في كل سنة بذّتين وأربعة قمصان ، وحذاءً واحداً ، يقوم بشرائها بنفسه كذلك علماً أنه يختارها من أدنى المستويات المعروفة وبأرخص الأسعار . . .

انتفض وليد لسماع هذا وقال بذعر :

- يا إلهي . . . إلى هذا الحد ؟؟ . . .

هز عصام رأسه باسى بالغ وهو يقول :

- نعم . . . وأكثر من هذا . . . والمسكين ، حفاظاً على مركزه في

النادي وبين زملائه يكتفي بالقيام بزيارات قليلة يقضيها بينهم تاركاً في نفوسهم انطباعاً معيناً لا يطمح في تغييره . . .

سادهم صمت ثقيل وشدتهم حلقات قصة اسماعيل المؤثرة ، وتركت في نفوسهم انطباعاً قوياً بالرأفة به والرثاء لحاله ، وكان من شده تأثر خالد أن قال :

ـ أما زال في الدنيا مثل هذا الأب ؟ . . . أما انقرض هذا النوع من البخلاء ؟ . . . يا إلهي . . . وحيده الذي ستنتقل إليه ، ربما وحده ، هذه الثروة بأجمعها يحرم كل هذا الحرمان ؟ وممن . . . من والده . . . ألم يتناهى إلى سمعه قول الحق تعالى ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ صدق الله العظيم . . . واستغفر الله من شر البخل والبخلاء . . .

كانت عند ليلى وجهة نظر أخرى ، لذلك قالت :

ـ ونتيجة تصرف كهذا ، ألا يغرسون في نفوس أبنائهم الحقد والضغينة ؟ . . . ألا يدفعونهم لتمني موتهم المبكر . . سبحان الله . . . اللهم إهدِ هذا النوع من الرجال سواء السبيل . . .

كان تفكير عصام يتابع البحث عن جواب لسؤال حيره ، لذلك قال ، وفي موضوع بعيد عن تفكير الآخرين :

ـ الذي يحيرني كيفية حصول اسماعيل على هذه الهدية من والده وهو

بهذه النفسية وبهذه الطباع . . فلا تقل قيمتها عن المئة ليرة . . . ألا يثير هذا الاستغراب ؟؟

أثار سؤال عصام الشك في نفوسهم جميعاً ، وظهرت علامات الدهشة على وجوههم وبعد برهة تفكير قال خالد :

ـ حقاً إنه أمر محير تماماً . . . كيف نتصور أن والداً هذه صفاته يضحي بهدية تقارب المئة ليرة لمن ؟ . . . لصديق ولده ؟ . . . غريب والله ؟ ! ؟ . .

استبد القلق بعصام ، فنظر إلى خالد كأنه يريد أن يشاركه هذا القلق ، فقال كمن يفكر بصوت مرتفع ، متسائلاً ؟

ـ من أين أتى اسماعيل بهذا الإذن ؟ . . . لا . . . لا أشك . . فهو موقَّع من السيد حافظ بك ومهور بخاتم الشركة كذلك ؟ !!! .

وفجأة . . . نهض خالد واقترب من عصام الذي كان يفكر بالإذن الخاص : وهو يزرع الغرفة جيئة وذهاباً . وطلب منه قائلاً :

ـ عصام . . . دعني ألقي نظرة على هذا الاذن . . .

توقف عصام عن السير ليسمع طلب خالد ، ثم دخل بعد ذلك إلى غرفته لإحضار الإذن ، فانتهزت ليلى فرصة غيابه لتُسرَّ في أذن خالد بمخاوفها فقالت هامسة :

ـ وهل تظن أن اسماعيل حافظ هذا! قد أقدم على تزوير توقيع والده ؟؟ . . .

أومأ خالد لها برأسه علامة الإيجاب ثم أردف قائلاً :

ـ أمر محتمل أن يحدث . . . ولكن إذا صح هذا التوقع يكون قد زجّنا في موقف لا نحسد عليه أبداً . . . موقف حرج تماماً . . .

هال ليلى ما سمعت ، فقالت غير مصدقة :

ـ وهل هذا معقول ؟ هل يقدم اسماعيل على عمل فظيع كهذا ؟ ما هو الدافع يا ترى ؟ . . .

ندم وليد على موقفه السابق من حالة اسماعيل ، وانتهز الفرصة ليصحح خطأه ، فقال :

ـ صدق عصام . . . مسكين هذا الشاب بدون شك !! . . .

انهى وليد عبارته عندما دخل عصام وبيده الإذن الذي حصل عليه ، فتناوله منه خالد فالتف الجميع حوله يتأملونه كل بدوره ، وبعد برهة قال خالد :

ـ ليلى . . . أين العدسة المكبرة ؟ . . .

أسرعت ليلى بإحضارها فتناول خالد الإذن من جديد وسار به إلى منضدة في زاوية الغرفة ليتسنى له فحص التوقيع من خلالها . . . وقبل أن

يرفع بصره عنها قال :

ـ واضح جداً أن التوقيع مزوَّر . . .

وقبل أن يسأله أحد عن سبب تقريره هذا ، تولى مهمة الشرح حيث تابع يقول :

ـ سترون بوضوح شديد من خلال العدسة ، آثار الخط بالقلم الرصاص وحول حروف التوقيع . . . وواضح من تقطع حروفها أن المزور حاول إزالتها على عجل . . .

كان عصام أشدهم تأثراً لما يسمع ،فاسماعيل صديقه هو ، فكيف يحتمل أن يكون صديقه بهذه الصفة ؟ . . . فلم يتحمل هذا الموقف ، لذلك قال بذهول :

ـ غير معقول ؟ . . . يزوّر ؟ أنا لا أصدق . . . اسماعيل لا يقدم على عمل كهذا ؟ . . . ليتكم تعرفتم عليه عن كثب لعرفتم أي إنسان طيب هو . . . بل في منتهى الطيبة والوداعة . . . كيف أصدق أنه مزوِّر ؟ . . . وماذا زوَّر ؟ . . . توقيع والده . . . أكاد أجن . . . فأنا لا أريد أن أصدق أمراً كهذا . . . فظيع . . .

أجابه خالد بمنتهى الهدوء حتى لا يستثيره أكثر من ذلك :

ـ ولكن من الواقع أنه سلمك **إذناً** مزوراً . . . وفي هذا التصرف الغريب خطورة عليك شخصياً . . . ما هو موقفك إذا اكتشف أمين

المستودع أن الإذن الذي ستستلم بموجبه هديتك مزور . . . هل تظنه سيسكت على أمرٍ كهذا ؟

امتعض عصام لما يسمع ، وأحس بالألم يعتصر فؤاده ، وظن نفسه في هذه اللحظة سجيناً لدى أمين المستودع ، فلم يحتمل بشاعة موقفه فقال يدافع عن نفسه ويستنجد بصديقه دون أن يكون موجوداً :

ـ مستحيل . . . مستحيل . . . ليس الأمر بكل هذا السوء وهذه الخطورة ، أنا لا أزور ، واسماعيل لن ينكر أنه هو الذي أعطاني الإذن ، كما هو الآن . . .

وقبل أن يسترسل بتصوراته ، أنقذه سؤال ليلى وهي تضع شكوكها بين يديه ، قائلة :

ـ وماذا لو حالت الظروف دونه وهذا الإعتراف . . . ماذا يكون موقفك ؟؟

انفجر غاضباً ليقول بعصبية :

ـ ما هذا التشاؤم المسيطر على تفكيركم ؟ . . . لا زالت الدنيا بخير . . . ولم يحصل شيء البتة مما تتوقعون . . . ثم لنسلم جدلاً بأنه حدث ما تتوهمون فهل الإنسان الذين أقدم على عمل كهذا ، وارتكب جريمة تزوير ، كما تدعون في سبيل الوفاء بوعد قطعه لصديقه . . . هذا الانسان هل هو ، بنظركم ، المسخ البشع الذي تتحدثون عنه ؟؟ . . .

أنا على يقين أن اسماعيل لن يسمح بأن يمسني سوء بسبب هذا الإذن . . .

استراح عصام قليلاً بعد أن أفرغ هذه الشحنة العاطفية من الغضب ، فانتهز خالد فرصة هدوئه ليسأله :

ـ هل أفهم أنك تصر على الذهاب إلى المستودع للحصول على الكرات ؟ . . .

لم ينبس عصام ببنت شفة ، ولم يجب خالداً على سؤاله ، بل أطرق برأسه ينظر موضع قدميه وقد أحس بالندم لما بدر منه ، ولفقدانه السيطرة على برودة أعصابه ، وشعر بالأسف على ما تفوه به تجاههم ثم رفع رأسه ليقول في نبرة تحمل معنى الاعتذار عما حصل :

ـ لا يا خالد . . . الأفضل نسيان الأمر كلياً . . . كأن شيئاً لم يكن . . . ويجب ، كذلك أن أمزق هذا الإذن فلا نعرض صديقنا اسماعيل للحرج ، ولا نقف نحن أيضاً في موقف كهذا . . . فلا كانت الكرات ولا كانت مشاكلها . . .

تنفس الجميع الصعداء ، وظهر الارتياح على وجوههم جميعاً ، فقد زال هذا الكابوس المزعج الذي حاول أن يجثم على صدورهم ويقض مضاجعهم . . . وتوصلوا إلى الحل الأمثل . . . وهذه النتيجة حفزت ليلى على القول :

ـ فلنقفل باب المناقشة في هذا الموضوع إذن . . . هيا بنا لنغادر هذا المكان . . .

أنهت عبارتها وهي تقف أمامهم تستنهضهم ، وقبل أن يستووا واقفين جميعا سمعت خالداً يسألها :

ـ مهلاً إلى أين ؟ . . .

رمته بنظرة تشع بالحنان وقالت بدلال :

ـ إلى الحديقة . . . علينا أن نكمل تنظيفها من الأوساخ وانتزاع الاعشاب المضرة من أرضها . . . هيا . . .

* * *

صديق يستنجد !

دوت في أرجاء المنزل الفسيح أصداء رنين جرس الهاتف ، بُعيد عودتهم من حديقة الحيوانات ، فقد أمضوا هناك يوماً بهيجاً تمتعوا خلاله بالجو النقي ، والظل الوارف ، وابتعدوا عن ضوضاء المدينة وجلبتها . . . كان يوماً مشهوداً أراحهم من عناء الأسبوع الماضي بأكمله وزودهم بشحنة منشطة لبعض أيام الأسبوع المقبل . . .

تناولت السيدة سعاد مسرة الهاتف فتناهى إلى سمعها صوت مألوف لديها يقول :

ـ آلو . . مساء الخير . . . هل بإمكاني التحدث إلى عصام ؟ . . .

أجابته السيدة سعاد متسائلة . ومع ذلك فهي تريد أن تتأكد من صحة ظنها ، فقالت :

ـ من ؟ . . . اسماعيل . . . أليس كذلك ؟؟ . . .

وبصوت مضطرب النبرات ، أجابها بالقول :

ـ نعم . . . نعم . . . أنا اسماعيل حافظ . . .

شعرت السيدة سعاد باضطراب المتحدث ، فلم تشأ إطالة انتظاره

لذلك أجابت بسرعة وحسم :

ـ لحظة حتى أناديه . . .

وضعت المسرة إلى جانب آلة الهاتف على المنضدة ، وارتفع صوتها بالنداء :

ـ عصام . . . ينتظرونك على الهاتف . . .

هرول عصام بسرعة والتقط المسرة وقال :

ـ آلـو . . . من ؟ . . . اسماعيـل ؟ . . . كيف حـالـك ؟ . . . مـا بالك ؟ . . . من أين تتحدث ؟ ؟

كان اسماعيل يجيبه باقتضاب ، وبعبارات خاطفة مما اضطر عصاماً للإلحاح عليه بالسؤال . . . وأخيراً سكت عصام برهة سمع خلالها اسماعيل يقول :

ـ عصام . . . أنا في ورطة . . . هل يمكنك الحضور إلى منزلنا لإنقاذي . . . سأشرح لك كل شيء عند حضورك . . . أرجوك . . .

استبد القلق بعصام ، فهو لم ينتظر حدوث أمر كهذا ؟ فتوجه بسؤاله :

ـ ماذا جرى ؟ . . . هل تشاجرت من جديد مع السيد الوالد ؟؟

وبصوت متقطع تخنقه العبرات ، يعكس حالة الحزن الشديد واليأس

الذي يعانيه المسكين ، أجابه :

ـ نعم . . . وهددني بالطرد إن لم أعدها إليه فوراً ؟ . . . أنا سجين يا عصام . . . سجين . . .

قالها وارتفع صوته بالنشيج المخنوق ، فهو لا يريد ان يبكي حتى بينه وبين صديقه ولكن ما العمل والعبرات أفلتت من مقلتيه . . . فقد أحس بالانفراج بعدها واستطاع سماع صوت عصام وهو يسأله بعد أن كرر كلمة « آلو » أكثر من مرة ولا يجيب :

ـ تعيد إليه ماذا ؟ . . . من سجنك يا اسماعيل ؟ . . .

كان الخوف مسيطراً على كيان اسماعيل ، أحس به عصام من خلال العبارات المتقطعة التي كان يسمعها منه ، وأخيراً قال :

ـ عند حضورك . . . ستعرف . . . كل شيء . . .

وبحركة لا شعورية رفع عصام معصم يده اليسرى ونظر إلى ساعة يده فوجد أنها تجاوزت العاشرة ليلاً . . . فقال ببراءة :

ـ هلاَّ أجلنا اللقاء حتى الغد ؟ . . . ألا ترى معي أن الوقت متأخر نوعا يا اسماعيل ؟

كان إلحاح اسماعيل كبيراً ، فهو يعلق **أهمية** قصوى على حضور أحدهم ، وأخصهم عصام . ليخلصه مما هو فيه من بلاء ، لذلك رجاه

أن يحضر . . . فهو يمثل خشبة النجاة لـه ، وفي هـذه اللحظة بالذات . . . فقال بصوت لا زال متقطعاً :

ـ لا يا عصام . . . أخشى أن يقضي عليَّ قبل حلول الغد . . .

فغر عصام فاه لما يسمع ، وأوشكت مسرة الهاتف أن تسقط من يده ، فانفجر متسائلاً :

ـ يقضي عليك ؟ . . . والدك يقضي عليك ؟ وهل هـذا معقول ؟؟ . . .

إزاء انفعال عصام على هذا النحو . أحس اسماعيل بتأثير كلماته وموقفه على صديقه ، لذلك استمر بالرجاء والتوسل إليه بالقول :

ـ أرجوك يا عصام . . . احضروا وأخرجوني من هنا ، وبسرعة . . . أرجوك . . .

لم يتلفظ عصام بكلمة الموافقة ، وإن تحركت في داخله عواطفه الإنسانية تجاه صديقه المظلوم ، فتساءل كإنما يعلن عن موافقته :

ـ وكيف نعرف مكان سجنك ؟ . . .

أحس اسماعيل بمعنى العبارة ، فهو ينتظر طرح هذا السؤال ، لذلك أجاب على الفور :

ـ بعد دخولكم إلى حديقة القصر انظروا إلى النافذة التي يتدلى منها

ملاءة بيضاء كبيرة ، من الطوابق العليا ، طبعاً ، سترونها من انعكاس نور الشارع عليها . . . أسرع يا عصام أرجوك . . .

لم يقطع على نفسه وعداً ، ولكنه أجابه بإيمان وثقة :

ـ اطمئن يا اسماعيل . . . سنحضر لإنقاذك باذن الله . . . إلى اللقاء يا صديقي ، ولا تخشَ شيئاً . . .

وضع مسرة الهاتف في مكانها ، ونهض في طريقه إلى غرفته ، فما كاد يستدير حتى وقف جامداً ، فقد انتصبت أمامه السيدة سعاد ، تنظر إليه بشك ظاهر . . . ولكنها بددت مخاوفه وأنقذته من حيرة التساؤل عندما سألته :

ـ ماذا به صديقك ؟ هل يشكو من شيء ؟ . . . أحسست الاضطراب في نبرة صوته ، غير المرات السابقة . . .

تمالك نفسه وأجاب بصدق ، فما تعود الكذب أبداً ، وإن اضطر أحياناً لإخفاء الموضوع إلى حينه ، . . . فقال بهدوء مصطنع :

ـ كالعادة . . . خلاف بينه وبين والده . . .

استنكرت حصول أمور مشابهة بين والد وولده بهزة من رأسها ، وأظهرت أسفها دون أن تتكلم ، ولكنها سألته :

ـ وماذا يريد في ساعة متأخرة كهذه ؟؟ . . .

لا يريد عصام كشف حقيقة الأمر ، الآن على الأقل ، للسيدة سعاد ، فكان لزاماً عليه إيجاد مخرج ينقذه من إفشاء سر صديقه ، وإذا فشل ، فما عليه إلا مصارحتها بالحقيقة كاملة ، وما ينوي عمله لإنقاذ صديقه . . . وكان على يقين أنها لن تسمح له بالذهاب قبل الصباح مهما عظم السبب ، فهي تغار عليهم جميعاً وترعاهم وتسهر على راحتهم ، فهل يعقل أن تتركه فريسة للمجهول ؟ . . . ومن يدري ماذا تخبىء الأقدار ؟ . . . حاول عصام إيجاد العبارة المقنعة حتى يتملّص من المناقشة ، لذلك قال :

ـ كان يسألني إن كنتُ تسلمت الكرات أم لا . . .

انتظر خالد عصاماً طويلاً ، ولما طالت غيبته أتى لتفقده ، فما أن رآه حتى لمح في عينيه المعبرتين الكثير من المعاني التي يفهمها حق الفهم . . . وأكثرها إلحاحاً كانت رغبته في إنهاء الحديث ، لذلك انسحب من بينهما وهو يقول :

ـ أشعر بالإجهاد . . . سأنام الآن وأرجو أن يكون نومي عميقاً . . . ألا تذهب يا عصام ؟ . . . تصبحان على خير . . .

سار إلى غرفته وهو يتثاءب متظاهراً بأن النعاس يغالب أجفانه ، فتبعه عصام متثائباً هو الآخر ، وهو يقول :

ـ خالد خذني معك . . . فعلاً كان نهاراً مضنياً . . . وأحس بالورم قد نال من قدمي . . . تصبحين على خير يا ماما . . .

كان الجميع ينادون السيدة سعاد بـ « ماما » ، فهو اللقب المحبب لها منهم، . . . لذلك رمتهما بنظرة تطفح بالحنان وهي تقول :

ـ في حفظ الله يا أولادي . . .

* * *

الولد السجين

جلس عصام على حافة سريره ، متوتر الأعصاب ، مهموم الفؤاد ، ولمح خالد في عينيه سحابة حزن عميق ، نظر إليه مليًّا ، وقبل أن يسأل أحس عصام بالرغبة في الإفضاء بالسر لخالد علّهما يتعاونان على إنقاذ إسماعيل فقال عصام :

ـ اسماعيل سجين في قصر والده . . . وقال إنه مهدد بخطر كبير . . .

لم يكمل خالد مد جسمه على سريره ، فهب مذعوراً ، واستيقظت جميع حواسه ، وطار النوم من عينيه ، وسأل :

ـ سجين في قصر والده ؟ . . . من الذي سجنه ؟ . . . ألم يقل لك ؟ . . .

أجابه عصام بأسى ظاهر :

ـ والده هو الذي سجنه ، ويقول أنه هدده إن لم يعدها إليه ؟ . . .

ظهرت علامات الاستغراب والدهشة على وجه خالد بجلاء ، فسأله :

ـ يعيدها ؟ . . . وما هي ؟؟ . . .

هز عصام كتفيه علامة جهل ما يعني وقال بعد أن قلب شفتيه أيضاً :

ـ لم يخبرني . . . ولكنه كان في حالة رعب شديد . . . وهو ينتظرنا لإنقاذه قبل فوات الأوان . . .

ازدادت دهشة خالد ، فرفع حاجبيه ، وقال .

ـ الليلة ؟ . . . ولكن هذا مستحيل . . . كيف نتمكن من الخروج وبابا في المنزل وهو لا يزال مستيقظاً ؟ . . .

كان عصام يعرف هذا ، لذلك قال بأسى بالغ يرثي لحال صديقه :

ـ مسكين اسماعيل . . . لا يدري أن المساعدة التي طلبها لا نملك حق تقرير القيام بها في هذه الظروف . . . لكن . . . يجب إنقاذه يا خالد . . يجب أن نحاول . . . يجب . . .

أطرق خالد مفكراً ، وبعد برهة رفع رأسه ليقول :

ـ أولا علينا انتزاع وليد من مكانه أمام التلفزيون . . . عله يساعدنا في تدبر الأمر . . . و . . .

لم يكمل خالد عبارته ، فقد سمعا وقع أقدام وليد الثقيلة في الممر . . . عرفا أنه في طريقه إليهما . . . دفع الباب ، ودخل ، فوجدهما لا زالا جالسين ، ينظران إليه . . . فوجىء بالمنظر ، فسألهما بصوت أجش :

ـ ألم تناما بعد ؟ . . .

أجابه خالد بصوت منخفض هامس :

- اخفض صوتك . . . وتعال انضم إلينا . . . فهناك ما نريد إخبارك به . . .

انضم إليهما في اجتماع استمر قرابة نصف الساعة قرروا خلاله ما ينوون عمله ، وانتقل بعدها كل منهم إلى سريره ، وتمدد عليه دون أن يستسلم للرقاد، فقد أبقوا آذانهم مفتوحة ليسمعوا الصوت الخفيف من الخارج . . . وما هي الا دقائق حتى تناهى إلى أسماعهم صوت المفتش جميل يتحدث إلى السيدة سعاد وهما في طريقهما إلى غرفة نومهما . . . تلاشى الصوت شيئاً فشيئاً ، وعندما ساد الصمت التام ، تنهد خالد بارتياح وقال :

- الآن . . . إلى العمل . . .

لبسوا ثيابهم بسرعة ، وانتعلوا أحذيتهم المطاطية ، وحملوا معهم أدوات العمل المعتادة التي لا تفارقهم . . . فهي تلازمهم ملازمة السلاح للجندي . وأضافوا اليها الحبل الكتاني المتين الذي طالما أنقذهم من مآزق عديدة . . . فتح عصام الباب بهدوء وحذر شديدين ، فلمح فينو أمامه قابعاً بالقرب من باب الغرفة ، ينظر إليهم وذيله يهتز يمنة ويسرة . . . أومأ إليه خالد بيده أن اتبعنا وهو يقول له بصوت منخفض :

- فينو . . . تعال معنا . . .

وبحذر شديد ، ساروا حتى السلم ، ثم هبطوه ببطء شديد حتى لا

يصدر عنهم صوت أو جلبة توقظ المفتش جميل أو السيدة سعاد ، اللذين عرف عنهما رهافة السمع والاستيقاظ لأدنى حركة يسمعانها ولو كانا في سبات عميق . . .

غادروا المنزل يتقدمهم فينو ، وفي الحديقة اضطروا للانحناء بعض المرات وهم يمرون تحت أغصان أشجار الياسمين الغضة ، متجهين إلى مدخل المرآب ليستقلوا السيارة . . . وقبل وصولهم ارتعدت أوصال خالد الذي وقف فجأة وخنق في حلقه صرخة حاولت الإفلات ، عندما شعر بثقل يهوي على كتفه ، لكن صفير سرور أعاد إليه شجاعته فنظر إليه غاضباً وهو يقول مؤنباً :

- أيها الغبي . . أفزعتني . . .

كان اعتذار سرور عن هذا التصرف ناعماً ، إذ قرب شفتيه الغليظتين من خد خالد وطبع قبلة يسترضيه بها. فيما تابع الموكب سيره حتى احتواه المرآب . . . وهناك استطاع خالد الكلام ، فقال لهم :

- أوشك قلبي أن يتوقف عن الخفقان عندما سقط هذا الغبي على كتفي . . .

كان الآخرون يفكرون بطريقة يرفعون بها باب المرآب الجرار ، فلم يسمعوا كلام خالد ، بينما قال عصام :

- كيف العمل على فتح باب المرآب ؟ . . . إنه يهدر بصوت أشبه

بصوت الرشاش الحربي ، وهذا كفيل بإيقاظ الموتى . . . فكيف الأحياء ؟ . . .

أجابه خالد :

ـ لا عليك . . . هناك طريقة نستطيع بها التغلب على هذا المشكل . . . قف هنا يا عصام واضغط بكتفك الباب ، وانت يا وليد قف في الجانب الآخر . . . وأنا أتولى رفعه ببطء . . . هيا . . . .

وبهدوء وحذر تم العمل بنجاح ، وارتفع الباب دون أن تصدر عنه جلبته المعتادة . وفتح خالد باب السيارة ، وأخذ مكانه خلف عجلة القيادة ، وتولى الآخران دفع السيارة الى الخارج مسافة تسمح لهم بتشغيل محركها بعيداً عن أسماع المفتش وزوجته السيدة سعاد :

حاول وليد العودة لإقفال الباب وهو يقول :

ـ سألحق بكما بعد إنزال الجرار وإقفال الباب . . .

اعترضا على هذا الرأي ، وقال له خالد ينهاه عن فعل ذلك :

ـ لا يا وليد . . . لا عليك ، فليس بداخله ما نخشى سرقته . . .

جلس عصام إلى جانب خالد في المقعد الامامي ، فيما اندس وليد في المقعد الخلفي يجاوره كل من سرور وفينو ، وانطلقت بهم السيارة إلى

الحي الجديد ، حيث قصر السيد حافظ بك . . . وارتسمت على وجوه الجميع علامات الارتياح لما تم حتى الآن ، فتنهد خالد وهو يقول :

ـ عصام . . . دلني على الطريق الأسهل . . . فأنا لم أزر هذه المنطقة بعد . . .

حاول عصام إرشاده ، فقال :

ـ عندما تصل قرب مدرسة الأجانب ، انعطف يميناً ، فقصر حافظ بك هو الثالث على يمين الطريق . . . وهو يطل على النهر مباشرة ، حتى أن النهر يخترق الحديقة التي تحيط به . . .

في المكان المشار إليه ، وصل خالد وخفف من سرعة السيارة ، فدار حول القصر يستطلع المكان المناسب بينما انصرف اهتمام عصام ووليد للتفتيش عن الملاءة البيضاء الكبيرة ولم يمض وقت قصير حتى ارتفع صوت عصام يقول :

ـ هناك . . . النافذة الرابعة من الجهة الجنوبية . . . انظرا الملاءة . . .

توقف خالد ، ونظرا ، هو ووليد إلى الجهة التي عينها عصام فشاهدا غطاءً أبيض اللون . يتراقص مع الرياح التي تهب عليه ، فينعكس وهج نور الشارع على صفحته الواسعة . . . فقال عصام :

ـ هذه هي العلامة المتفق عليها . . . إنه هناك . . . في هذه الغرفة . . .

تحركت السيارة ببطء حول القصر ، ودار خالد بها دورة شبه كاملة

ليختار المكان الأنسب لإيقافها بعيداً عن الشبهات . . . وقال :

ـ هيا . . . سيبقى فينو لحراسة السيارة ومراقبة الطريق وإبلاغنا بما يطرأ إذا لزم الأمر . بينما نختار المنطقة المناسبة للتسلق فوق السور . . . ودخول الحديقة . . .

كان حديثه همساً ، مما أثار مخاوف وليد فسأله :

ـ وكيف الوصول إلى اسماعيل ؟ . . . وما هو الحكم على موقفنا إذا ما ضبطنا أحدهم ؟؟ . . .

كانت جميع الاحتمالات مدروسة بطريقة جيدة ، فتولى خالد شرحها بقوله :

ـ الأمر بسيط . . . يسبقنا سرور إلى داخل الحديقة ومعه الحبل ، ويصعد إلى غرفة اسماعيل ويسلمه طرفه لينزل إلينا بواسطته ، و . . أما الشق الآخر فإننا ندعي بأننا لحقنا بالقرد الهارب إلى داخل الحديقة للقبض عليه قبل إقدامه على إيذاء أحدهم أو ترويعه . . . وبهذا نرفع مسؤولية الاقتحام عن أنفسنا . . .

استوعب وليد تفاصيل الخطة وهز برأسه موافقاً ، في الوقت نفسه انحنى خالد على فينو ليقول له :

ـ فينو . . . إبق هنا في السيارة ولا تدع أحداً يقترب منها . لا تغادرها



أبداً ، فهمت . . . إذا اقترب أحدهم نبهنا بنباحك . . . مفهوم .

همهم فينو بطريقة تأكد خالد منها أنه فهم ما طلب منه . . . ولا عجب . فهو كلب مدرَّب ومن نوع جيد ، . . ذكي . . .

وبخفة متناهية تسلقوا السور الحديدي المدبب الأطراف ، وبحذر شديد نزلـوا إلى أرض الحديقة . . . وهناك اختاروا أقصر الطرق وآمنها لمكان وجود اسماعيل ، كل ذلك يتم وسط صمت ثقيل رهيب ، تسارعت معه دقات قلوبهم ، . . . إنهم يدركون أن من يواجهونه باقتحامهم للحديقة ، بلا قلب ، ولا رأفة . وإلاَّ لما سجن وحيده . . . ولكنهم مستعدون للتضحية في سبيل إنقاذ إنسان يعتقدون ببراءته . . . تفادوا جميع الموانع للوصول إلى أقرب مكان تحت النافذة ، واستغل خالد وهج النور المنبعث من مصباح الشارع ليفتش عن أنسب مكان لصعود سرور ، مزاريب أو فتحات بارزة تسمح لسرور بتسلقها . . . ولما وجدها بعيدة نسبياً ، انحنى خالد على أذن سرور وهمس قائلاً :

ـ سرور . . . هل ترى هذه النافذة . . . الغطاء الأبيض ؟ . . .

كان خالد يتكلم ويفسح في المجال لإجابة سرور الذي كان يهمهم بأصوات يفهمها خالد تماماً ، عندها تابع كلامه :

ـ إصعد إلى هناك و . . سلم طرف الحبل هذا إلى اسماعيل . . .

قبل أن يهمهم سرور ، تدخل عصام ليلفت نظر خالد بقوله :

ـ ولكنه لا يعرف اسماعيل يا خالد . . .

أجابه خالد ، وهو يتابع توجيه تعليماته إلى سرور . . .

ـ صحيح . . . إذن . . . سلم الحبل إلى من تجده بالغرفة . . . مفهوم . . .

كرر خالد تعليماته إلى سرور أكثر من مرة . . . فهو يثق به ، ومع ذلك لا يريد له الفشل في هذه المهمة الدقيقة والصعبة . . . وفي كل مرة كان سرور يهمهم موافقاً ، حتى تأكد خالد ورفيقاه من حسن فهم سرور لمهمته ، بعدها أحاط خالد خصر سرور بطرف الحبل الكتاني المتين وسار به حتى المزراب وهناك تركه يقفز بخفة . . تسلقه سرور بسرعة ، رغم ثقل الحبل الذي يتدلى منه إلى أسفل ويشده إلى الأرض . . . ووسط دهشتهم جميعاً ، وفي لحظات مراقبتهم له ، كان شعور بالرهبة والخوف يتملكهم . . . خوف من المجهول ، وخوف على سرور من زلة يسقط معها إلى الأرض مهشماً . . . ولما وصل إلى مستوى النافذة . . . سار بخفة على ريف عريض نسبياً جعله البناؤون من متممات الديكور الخارجي للبناء ، وعندما وصل إلى محاذاة النافذة وقفز إلى الداخل تنفسوا جميعاً الصعداء ، وأطلقوا زفرات كانوا حبسوها داخل صدورهم . . . فقال وليد بفرح صبياني :

ـ برافو سرور . . . برافو . . .

نظر إليه خالد ، فلاذ بالصمت ، وأحس بخطئه . . . وتعلقت أبصارهم من جديد بالنافذة . . . وبعد برهة أطل وجه اسماعيل متهللاً ، وأخذ يثبت الحبل بطريقة تسمح بحل عقدته من الأسفل ، على الطريقة الكشفية ، وأمسك المنقذون بالطرفين من أسفل حتى تمكن اسماعيل وسرور من الهبوط والانضمام إليهم . . . سارعوا لاحتضانه وتهنئته بالسلامة ، وبعد لحظة سار أمامهم إلى كوخ في أقصى الحديقة بني على ضفة النهر . . . دخلوا وراءه إلى ذلك الكوخ المظلم . . . فقال اسماعيل وأوصاله ترتعد خوفاً :

ـ إنه ليس أبي ؟ . . .

عقدت الدهشة ألسنتهم ، ولم تظهر علاماتها على وجوههم ، أو بالأحرى لم يتبين اسماعيل أثر كلامه على وجوههم في ظلام الكوخ ، مع أنه سمع أحدهم يقول .

ـ لا حول ولا قوة الا بالله . . .

ولكن خالداً ، وهو أقربهم إلى اسماعيل ، أمسكه من ساعده ، وحاول التخفيف عنه ، ظناً منه أنه اصيب بنوبة عصبية نتيجة لما حصل معه ، فقال له :

ـ هدىء من روعك يا أخ اسماعيل . . . إنه والدك على كل حال ؟ ! . . .

كان اسماعيل متوتر الأعصاب ، فكانت عباراته كفيلة بنقل انفعاله إليهم ، لأنهم لم يتبينوا ملامح وجهه الغاضب في الظلام الحالك ، لكنه قال :

ـ لا . . . إنه ليس أبي . . . صدقوني . . . لقد سمعت وعرفت كل شيء ! . . .

تركهم والحيرة تنهش عقولهم ، وغادروا الكوخ إلى الخارج وهو يقول :

ـ فلنستقل هذا القارب ، ولنبتعد عن هذا المكان . . . وبعيداً سأخبركم بالتفاصيل كاملة عن كل شيء . . .

حاول خالد إيقافه وثنيه عن عزمه وهو يقول :

ـ إن السيارة معنا . . . وهي أسرع من المركب في نقلنا إلى مكان آمن . . .

اعترض اسماعيل على اقتراح خالد وقال :

ـ لا . . . لن أغامر بمصيري ومصيركم معي ، بعبور الحديقة . . .

إن رجاله الكثر ينامون في الطبقة السفلى من القصر . . .

نزلوا ، الواحد تلو الآخر ، إلى قارب مطاطي جميل ، وجرّفوا حتى ابتعدوا نسبياً عن القصر ، إلى مسافة استطاع اسماعيل معها تشغيل محرك

القارب دون إيقاظهم . . . وانطلق بسرعة جنونية مبتعداً عن القصر . . .

أثناء الطريق قال عصام بلهفة :

ـ اسماعيل . . . ها قد ابتعدنا بما فيه الكفاية . . . هات أخبرنا ما القضية ؟

لا يستطيع اسماعيل التحدث وهدير المحرك يصم الآذان ، فاختار مكاناً مناسباً أرسى فيه المركب وأسكت محركه ، واستدار نحوهم وقال بحزن ولوعة :

ـ كان ذلك في قرابة الثامنة مساء . . . أردت تناول بعض الطعام ، هبطت إلى الطابق الأول في طريقي إلى المطبخ توقفعت عندما تناهى إلى سمعي حديث يصدر من غرفة والدي ، وكانت الوحيدة المضاءة من بين غرف القصر جميعاً ، يشارك في الحوار الدائر عدد من الرجال لم آلف أصواتهم . . . اعتقدت أنهم الخدم ، ولكن بدا أن لا أثر لأحدهم في القصر . . . استبد بي الفضول وعزمت أن ألقي تحية المساء على والدي . . . وأمام الباب تسمرت قدماي عندما سمعت بوضوح صوت أبي الغاضب يقول :

ـ أيها الحيوان . . . لقد أفسدت كل شيء . . .

أجابه صوت لم أتذكر أنني سمعته من قبل يقول :

ـ وما ذنبنا نحن . . . كانت الأذونات مذيلة بتوقيع حضرتكم . . . ولكن صراخ والدي تعالى من جديد وهو يقول :

ـ ألم أحذرك شخصياً ، من التصرف بالكرات الحمراء . . . ومهما كانت الأسباب . . . حتى بعد أن تمكن من خداعكم بأذوناته المزورة لماذا لم تفتح العلب ؟ لماذا ؟ . . . يجب أن تعيد هذه الكرات ؟ ! يجب . . . وإلا افتضح أمرنا . . .

استهواني سماع الحوار الدائر في الداخل فلم أتحرك من مكاني ، ونسيت ما نزلت من أجله ، خاصة بعد أن طرق أذني صوت أعرفه تماماً . . . إنه أمين المستودع الذي قال :

ـ ليس الأمر بهذا السوء . . . فكل ما حصل عليه السيد اسماعيل ثلاث علب فقط وقد أرسلنا اثنتين منها مع طلبية في السيارة ، أما العلبة الثالثة فقد تسلمها السيد اسماعيل بنفسه . . .

أدهشني الرد الذي تفوه به أبي . . . فقد سمعته يشتمني ويقزح في السباب وهو يقول بصوت مرتفع غلبت عليه نبرات الغضب :

ـ يجب استردادها هل فهمتم ؟ . . . قبل انقضاء الليل يجب أن نحصل عليها . . . والويل لكن إذا فشلتم في استعادتها كلها ، أريد الكرات الحمراء كاملة العدد . . .

سرت رعشة الخوف في أوصالي ، وارتعدت مفاصلي ، وفضلت

الانسحاب قبل أن يلمحني أحدهم استرق السمع لما يجري في الداخل . . . وقبل أن أتحرك من مكاني ، سمعت صوت أبي يرعد من جديد وهو يقول بلهجة آمرة :

ـ أحضروا لي هذا الكلب . . . هيا ماذا تنتظرون ؟ . . . أحضروا لي اسماعيل إلى هنا . . . حاولت الإسراع بالانسحاب عندما سمعت صرير الباب يفتح من الداخل ، وتقفع ظهري وأنا أرفع رجلي اليمنى محاولاً التسلل على رؤوس أصابع قدمي ، عندما شعرت كأن رافعة آلية تمسك بكتفي وتقتلعني من مكاني . . . استدرت نحوهم أحملق في وجوههم كالمشدوه ، ولم أدر كيف أصبحت وجهاً لوجه مع والدي المزعوم ، وقبل أن أسترد انفاسي المتقطعة سمعت أحد الرجال يقول وهو يلقي بي أمامه :

ـ وجدناه يتجسس على حديثنا خلف الباب . . .

وبتؤدة غريبة ، نهض أبي من مكانه وتقدم ببطء شديد نحوي ، وعيناه مسمرتان في عيني أحسست معها أن سقف المنزل يجثم على صدري وبثقل هائل يضغط على ضلوعي وقصبتي الهوائية ليكتم أنفاسي . . . مرت اللحظات بطيئة مضنية قبل أن يقترب مني ، تسارعت أنفاسي واعتراني دوار خفيف أحسست معه أنني أريد أن أتقيأ . . . فقد بدا لي كبير الحجم عندما هوت قبضته بكل قوة لتستقر على صفحة خدي خِلْتُ معها أن رأسي انفصل عن جسدي لعظم الضربة وقوتها . . . وسمعته يتفوه بكلام

لم أفهم منه إلا قوله :

ـ تتجسس خلف الأبواب ؟ . . . ماذا سمعت من حديثنا؟ . . . تكلم . . . ماذا سمعت ؟ . . . ورحت بعدها في غيبوبة قصيرة . . . وهم يتابعون النظر إلى والدي بقلوب قدت من الحجر الصلد . . . ظن والدي المزعوم أنني فقدت الوعي تماماً . . . لأنني لا زلت أفترش أرض الغرفة ،وعندما عاد إليَّ رشدي سمعته يقول :

ـ يجب أن نتخلص منه ، ومن والده كذلك ؟ . . .

رنت الكلمات في أذني رنيناً خاصاً ، فبقيت على حالي حتى لا يفطن إلى يقظتي بعدما كاله لي ورجاله من ضربات وركلات أفقدتني القدرة حتى على الأنين . . . وآثرت البقاء لسماع ما يجري . . . وتساءلت :

ـ يقتلني ويقتل أبي؟ . . . وهل سينتحر من أجل علبة كرات لا أكثر ؟ . . . وهل تستحق هذه الكرات التضحية بي والانتحار بعدها ؟ . . . أصخت السمع جيداً ، فهمت بعدها كل الحقيقة ، فهو ليس أبي ، بل شقيقه التوأم ، وهو يشبهه إلى حد كبير . . . فقد قام بسجن أبي في منزل أحدهم ، ويدعى يعقوب . . . وهو يقيم في الضاحية الشرقية من المدينة . . .

كانت قصة غريبة أذهلتهم جميعاً ، وكان خالد أول من استطاع التخلص من هذه الحالة ليقول :

ـ معنى كلامك هذا أن عمك ينتحل شخصية والدك مستغلاً الشبه بينهما ؟

أجابه اسماعيل بإصرار :

ـ نعم . . . وأذكر أنني شاهدت لهما صورة ، قديماً ، ولم أتمكن من التفريق بينهما . . .

استرد عصام أنفاسه ، وقال لاسماعيل :

ـ وأين كان عمك ؟ . . . أعني كيف تمكن من ارتكاب عمله هذا دون أن تفطن إلى غياب والدك ؟ . . .

أجابه اسماعيل بيأس قاتل :

ـ كيف تريدني أن أنتبه ؟ . . .

تملكت الحيرة عصاماً أكثر من السابق فسأله :

ـ شقيقان يعيشان معاً . . . اختفى أحدهما . . . ألا يثير غيابه انتباهك ؟ . . . غريب ؟ . . .

ارتسمت على شفتي اسماعيل ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـ لم يكونا في يوم من الأيام معاً كما تتصور . . . أنا لم أشاهد عمي هذا إلاّ من خلال الصور . . . وكلما كنت أسأل والدي عنه كان يجيبني بحزن :

ـ مسكين عمك يا اسماعيل ، لقد قضى عليه طيشه واستهتاره . . .

ولم أكن أفهم معزى كلماته ، واعتبرت أنه توفى . . . إلى يوم أخبرتني حقيقة الأمر ، المربية « أم جمعة » . . . . وقصت علي القصة كاملة . . .

قاطعه خالد بقوله :

ـ وأي قصة ؟ . . .

أجابه اسماعيل بالقول :

ـ قصة غياب عمي . . . كان في السجن ينفذ عقوبة السجن المؤبد المحكوم بها في قضية تهريب مخدرات . . .

اتسعت حدقات عيونهم ، ونظروا باستغراب إلى اسماعيل ، وندت عن عصام صرخة خافتة وهو يقول :

ـ يا إلهي . . . !

وسأله وليد الذي لزم الصمت حتى هذه اللحظة :

ـ وما الذي دفعه لسجنك ؟ . . .

تنهد اسماعيل وأجاب :

ـ لم أكن أدري الأهمية الخاصة التي يوليها للكرات الحمراء الجديدة ، وإلاّ لاستبعدت أمرها قبل أن تثير هذه الزوبعة . . . فأنا بغنى عن المشاكل . . .

سأله خالد باهتمام :

- وهل تصرفت بها دون معرفته ؟ . . .

أطرق اسماعيل برأسه خجلاً من فعلته وقال :

- نعم . . . كان يحرجني أمام أصدقائي كلما طلبت منه بضع كرات منها أو من غيرها، . . لذلك حررت بعض الأذونات بنفسي و . . .

قاطعه خالد وكأنه يعرف حقيقة ما جرى وهو يسأله :

- وكنت تقلد توقيعه عليها . . . أليس كذلك ؟ . . .

كان سؤال خالد مؤدباً ، مع أنه يحمل معنى التأنيب في طياته ، لذلك أجابه بصوت خافت ، وهو ينظر موقع قدميه خجلاً :

- نعم . . .

ساد صمت لبرهة تبادل خلالها الجميع نظرات ذات معنى ، قبل أن يقول خالد مؤنباً :

- ولكن . . . هذا عمل لا يليق بك القيام به يا إسماعيل . . . إضافة إلى كونه جناية يعاقب عليها القانون . . . هل تعلم هذا ؟؟ . . .

أجابه وحمرة الخجل لا تزال تكسو وجهه :

- كنت مرغماً . . . فقد أحرجني مرات عديدة . . .

قال عصام في محاولة لإنهاء الحوار :

- لا مبرر لديك للقيام بعمل كهذا . . . على كل حال . . . ليس هذا وقت النقاش والخوض في هذا الحديث . . . أخبرنا الآن كم هو عدد الموجودين في القصر ؟ . . .

فكر اسماعيل برهة استجمع خلالها أفكاره قبل أن يجيب :

- سبعة غير عمي . . .

سأله وليد باهتمام :

- هل هم مسلحون ؟ . . .

أجابه اسماعيل من جديد :

- لم أر أسلحة بحوزتهم . . . ولكن عمي يحمل مسدسه بصفة دائمة . . .

كان عصام يكثر من طرح الأسئلة حتى تتكشف له خفايا المكان ونوع الرجال الذين سيواجههم . . . فقال :

- وأين يقيمون . . . ؟

وقبل أن يسمع إجابة إسماعيل قال كمن يتذكر :

- آه . . . لقد قلت لنا أنهم في الطبقة السفلى من القصر . . . وكم

مدخل له ؟ هل له أكثر من مدخل ؟ . . .

أجال إسماعيل بصره فيما حوله ، واستحضر صورة المكان أمامه وأجاب ببطء :

ـ لا . . . باب واحد فقط . . . ونوافذ تحميها جميعها القضبان الحديدية المتينة . . .

ربت خالد على كتفه بفرح ظاهر وقال :

ـ رائع . . . علينا الذهاب ، الآن ، إلى القصر لسجن هؤلاء الرجال مكانهم إن كان الباب متيناً كالنوافذ . . .

لقد قاسى منهم إسماعيل الكثير ، وخاف من العودة إلى القصر وهو يقول :

ـ نسجنهم ؟ كيف ؟ . . .

أمسكه خالد من ساعده وحاول التخفيف من عصبيته وقال :

ـ إسماعيل . . . حاول السيطرة على أعصابك ، بل يجب عليك ذلك . . . وتذكر أنه على ضوء إجاباتك وصحتها سيحدد مصير العملية كلها ومصيرنا كذلك . . . أولا وقبل أي شيء صف لنا المدخل . . . هل هو من خارج القصر أم من داخله . . .

ـ إنه من الداخل ، أجابه اسماعيل ، فهو من طراز الأقبية القديمة ، خصص أصلاً لتخزين المؤن . . . ولكن منذ حوالي السنة أصدر عمي أوامره بتأثيثه . . . مستغلاً تمثيل دور أبي ، واستقدم رجاله للسكن فيه . . . وهم ما زالوا يقيمون فيه منذ ذلك الحين . . .

كلهم منتبهون إلى كلام إسماعيل وأشدهم حماساً لسماع هذه التفاصيل خالد لأنه يريد وضع خطة محكمة تضمن تحقيق الهدف وسلامتهم في آن معاً ، فأعاد طرح السؤال على إسماعيل عندما قال :

ـ عظيم . . . والباب . . . أهو باب عادي أم من الحديد . . . كيف يفتح ويقفل . . . هل له مزالج أم أنه يسحب سحباً . . ؟؟ وما موقعه من الدرج . . .

شرد اسماعيل بذهنه برهة يسمع سيل الأسئلة التي أمطره بها خالد ، وأخيراً ، كمن يتذكر ، قال :

ـ لا أذكر اني رأيته مقفلاً . . . كيف يقفل يا اسماعيل ؟ . . . آه . . . تذكرت . . . إنه باب جرار يفتح إلى الأعلى . . . وهو ثقيل ويصدر صريراً مزعجاً . . . لذلك يتركونه مرفوعاً باستمرار . . .

تهلل وجه خالد بالفرح ، وبات متأكداً من نجاح الخطة التي يضع خطوطها في ذهنه . لذلك هتف بالقول :

ـ رائـع يـا إسمـاعيـل . . . عـد بنـا ، وسـريعـاً ، إلى القصر . . . وسأشرح لكم ما ننوي القيام به في طريق العودة . . .

تردد إسماعيل قليلاً قبل أن يدير محرك المركب ويتوجه بمن فيه إلى القصر . . .

* * *



موقف حرج

أسكت اسماعيل محرك المركب قبل وصولهم إلى مشارف القصر وتركه يتهاوى على صفحة الماء الصافية في طريقه إلى مرساه في حديقة القصر . . . وساد السكون أرجاء المكان ، مما سمح لخالد ببث مخاوفه وليتأكد من سلامة ما يقدمون به ، لذلك حاول مناقشة الخطة قبل الشروع بتنفيذ خطواتها . . فقال :

ـ إسماعيل . . . تذكر أن ما ننوي القيام عمل خطير وله عواقب وخيمة فهل أنت متأكد أن سيد القصر الآن هو عمك وليس والدك ؟؟ . . .

أجابه إسماعيل مستنكراً ومؤكداً :

ـ لو كان أبي هل كان أمر بالتخلص مني ومن أبي ؟؟ . . . هل يضحي والد بولده من أجل كرات مهما بلغ ثمنها ؟ . . .

قال خالد بلهجة حازمة حاسمة :

ـ إنما أردت التأكد فقط . . . والآن إليكم ما ننوي القيام به : سنتسلل إلى القصر بحذر شديد ، . . . ونقوم بإنزال باب القبو عليهم وإقفاله جيداً لنأمن شرهم ونبعدهم من طريقنا . . .

لكزه وليد على كتفه وقاطعه وهو يقول :

ـ الأفضل لو تصيدناهم الواحد تلو الآخر . . .

قالها ولوح بقبضته الضخمة في الهواء ، ولكن خالد اعترض على هذا الرأي بقوله :

ـ لا يا وليد . . . ليس قبل أن نجرد عمه من سلاحه ويصبح تحت سيطرتنا . . . سنكتفي بسجنهم ثم نصعد إلى غرفة العم . . . ومتى قبضنا عليه اتصلنا فوراً « ببابا » ليتولى إتمام العملية وإنقاذ والد اسماعيل المسجون هو الآخر . . .

انتهوا من رسم الخطوات الواجبة وأقروا الخطة نهائياً عندما أوقف اسماعيل القارب في مرساه وغادروه بنفس الحذر والحيطة وساروا باتجاه القصر يقودهم إسماعيل حتى وصل بهم إلى باب جانبي احتفظ بمفتاحه في غفلة عن عمه ، وبإتقان قام بفتح الباب دون أدنى حركة . . . كل هذا والصمت يلف المكان ويغلف تصرفاتهم . . .

دخلوا جميعاً ، يرافقهم سرور الذي كان له الفضل في إنقاذ اسماعيل ، وقد أمسك كل منهم الآخر يقودهم اسماعيل في ردهات القصر ، وقد تشبث سرور بيده اليسرى تشبهاً بالآخرين . . .

وصلوا إلى بهو القصر الفسيح ، وتوجهوا إلى درج رخامي يقودهم إلى الطبقة السفلى ، وفي نهايته لمحوا شعاع ضوء خافت ينبعث من الداخل ،

أسر إسماعيل في أذن خالد القريب منه قائلاً :

ـ هذا! هو الباب ! . . .

وأشار بيمناه ناحية النور . . . نزلوا السلم ببطء وحذر وأعينهم تفتش عن مواضع بارزة يمسكون بها الباب ، أرهفوا السمع ليتأكدوا من نوم الرجال . . . تقدم وليد من رتاج الباب وأمسك به بقوة وسحبه على مهل . . . ثم أخذ كل منهم مكانه المناسب وتعاونوا على إنزال الباب حتى أقفلوه تماماً ، ووضعوا الرتاج القوي في مكانه المخصص له . . . لقد أنجزوا المهمة بيسر وسهولة فاستخفهم الفرح الذي غمر نفوسهم بعد أن استبد بهم الخوف والقلق قبل قليل . . .

لم ينس خالد ، والآخرون كذلك ، الخطوة التالية ، لهذا قال :

ـ الآن . . . علينا إلقاء القبض على عمك يا إسماعيل . . . أين هو ؟

أجابه إسماعيل بحماس :

ـ إنه في الطابق الثاني . . . وعلينا الصعود من السلم الخلفي . . .

سأله خالد :

ـ ولماذا لا نصعد من هذا السلم . . .

أجابه إسماعيل شارحاً :

ـ إنه حريص جداً على سلامته ، فهو يقفل المدخل الرئيسي لجناحه ،

وكما لاحظت ، فأنا استعمل الباب الجانبي في دخولي وخروجي ـ من جناحه . . .

لم يعلق خالد على كلام إسماعيل بل طلب منه إرشادهم إلى الطريق الصحيح فقال :

ـ إذن تقدم ودلنا على غرفته . . . ولكن كن حذراً !! . . .

قطعوا ردهة طويلة بدد ظلامها نور خافت ، وفي نهايتها ارتقوا سلماً ضيقاً نوعاً ما ، اعترض طريقهم ، في أعلاه ، باب ضيق ، عالجه اسماعيل بمفتاح معه وفتحه ليجدوا أنفسهم في رواق عريض تنيره مجموعة من الأضواء الخافتة وضعت في فتحات خاصة ومنتظمة ، ترتفع عن الأرض قرابة عشرة سنتيمترات . . . كان إسماعيل لا يزال يتقدمهم ، وبعد أن اجتازوا عدداً من الأبواب ، يمنة ويسرة ، توقف ليشير بيده إلى باب مغلق . . . أدركوا على الفور أنها الغرفة المقصودة . . . طلب خالد من إسماعيل التنحي جانباً ، وتقدم هو بخطوات جريئة ، خفيفة الحركة ، وأمسك بمقبض الباب وأدار ببطء شديد حتى لا يصدر عنه أي صوت ، ولما تأكد من إتمام عمله ، اندفع يفتح الباب بكتفه وساعده الأيمن واندفع الآخرون خلفه إلى داخل الغرفة . . . وقبل أن يتبينوا وجود أشخاص فيها ، سطع نور قوي بهر أنظارهم ، فألفوا أنفسهم وجهاً لوجه مع السيد محفوظ ، عم اسماعيل يصوب مسدسه إلى صدورهم وهو يقول بصوت أجش غاضب :

- مكانكم . . . من يتحرك أرديه برصاصة واحدة . . .

تسمروا في أماكنهم ، واستفاقوا من هو المفاجأة ليلمحوا على محيا الرجل ظل ابتسامة ساخرة . . . ثم سمعوا صوته من جديد يتشفى بهم قائلاً :

- ها . . ها . . هذا أنت إذن أيها اللعين ؟ . . . ومن هؤلاء ؟ . . .

قرر إسماعيل مواجهة الموقف مستمداً شجاعته من أصدقائه الذي آزروه وانضموا إليه ، فأجاب بحزم وثقة .

- نعم هذا أنا . . . وهؤلاء أصدقائي . . . جئنا نثبت زيف أبوتك يا عمي . . .

فغر العم محفوظ فاه ، واربد وجهه ، وظهرت علامات الغضب على محياه وهو يقول :

- أتهددني ؟ . . . لا بأس . . . ستموتون جميعاً . . .

كان سرور رابضاً بالقرب من خالد ، ولم يكن العم محفوظ ينتبه لحيوان مثله ، فقد لكزه خالد بقدمه يأمره بالتقدم نحو الرجل ، وهو يقول له بمكر شديد :

- لن تستطيع فعل ذلك . . . فالشرطة في طريقها لإلقاء القبض عليك . . .

أراد اسماعيل إكساب الموقف أهمية ، فقال مهدداً :

- بعد قليل سيكون والده هنا ! .

عادت نظرة السخرية تشع من عيني العم **محفوظ** ، وقال باستخفافا :

- ومن يكون والده ؟ «جيمس بوند» ؟؟ والده قال . . .

وقهقه عالياً ، وهو يتابع سخريته ، فاغتاظ خالد لما يسمع وقال :

- لا . . . اطمئن ليس «جيمس بوند» . . ؟ . . . إنه المفتش جميل ؟ لا بد أنك سمعت عنه ؟ . . .

اكفهر وجه العم **محفوظ** من جديد ، وعاد الى وجهه سمت المجرم الكريه ، وقال بشراسة :

- حقاً . . . يا لمحاسن الصدف . . . ابن المفتش جميل ؟ . . . يا مرحبا . . . يا ألف مرحبا . . . أهلا . . .

كان يقطع كلامه بفاصل من القهقهة بجنون . . وعصبية ، واستعاد في مخيلته شريط أحداث قديم وقال :

- ستكون العملية موفقة : . . ضربة مزدوجة . . . التخلص من النذل الحقير . . .

وأشار بيده إلى جهة إسماعيل الذي انتفض بشدة ورماه بنظرة

ساخرة ، وتركه يتابع كلامه وهو ينظر إلى خالد :

- وعنك أنت . . . فليعلم والدك أنني لا أنسى ثأري ولو بعد حين . . . وهل يعقل أن أنسى بعد خمس عشرة سنة من الذل والقهر والسجن ؟ . . .

وسار بتؤدة ، ومسدسه لا زال مصوباً إلى الشبان الثلاثة ، وضغط على زر جرس كهربائي ثم قال :

قبل إرسالك في رحلة لا عودة منها : أود أن أعرف من أتى بكم إلى هنا ؟ ولماذا ؟ . . .

يبدو أن اسماعيل قد استمد القوة من الضعف ، والشجاعة من اليأس ، وقرر مواجهة عمه وتحديه . . . وهل «تؤخذ الدنيا (إلا) غلاباً » . . . فقال بقوة وحزم :

- أنا يا عمي العزيز . . . يا حضرة الأب المزيف . . . لن تفلت من العقاب هذه المرة . . . فقد حررت رسالة مفصلة وتركتها للمفتش جميل . . . مفصلة تروي كل شيء . . . هل تفهم ؟ . . . كل شيء . . .

قطب العم محفوظ جبينه ، وتذكر أنه ربما يبالغ فيما يقول فسأله باشمئزاز :

- أنت ؟ . . كيف ؟ . . . ألم يسجنوك في غرفتك ؟ . . متى فعلت كل هذا ؟ . .

ابتسم إسماعيل ساخراً ، هو هذه المرة ، وقال باستخفاف واشمئزاز مماثل لما يسمع :

- بقي أن تسألني كيف هربت. . . وكيف تخلصت من رجالك ؟ . . .

صاح بغضب وبنبرة تعكس الذعر الذي تملك كيانه وهو يلوح بمسدسه أمام وجه إسماعيل :

- تخلصت منهم ؟ . . . كيف أيها الشقي ؟ . . . عنيد كوالدك . . . ولكن تأكد أنك ستموت أمام عينيه ، وبمسدسي هذا . . . نعم . . . وسيموت والدك الغبي كذلك . . . والآن . . . أمامي كلكم . . . إياكم والمراوغة . فمن يحاول القيام بعمل طائش يستحق رصاصة في رأسه وأول . . .

سكت فجأة ، عندما قاطعه خالد ليقول له :

- وهل يطاوعك قلبك قتل أخيك وولده بيديك ؟ . . .

أثناء الحديث كانت مهمة سرور قد قاربت على الانتهاء ، واستغل خالد فرصة حديثه مع العم ليعطي إشارة إلى سرور الذي أخذ مكانه خلف العم محفوظ ينتظر اللحظة المناسبة . . . قهقه العم بجنون وقال وقد انتابته نوبة عصبية شديدة ، يخال السامع لكلامه ، معها أنه مجنون .

ـ قلبي ؟ . . . وهل بقي لي قلب أيها الغبي ؟ . . . لقد مات منذ زمن بعيد . . . منذ خمس عشرة سنة . . . يوم تخلى عني شقيقي الحنون وتركهم يحاكمونني ولو شاء يومها لأنقذني من بين قضبان السجن المؤبد . . .

تعمد خالد إطالة الحديث لصرف انتباهه عن مهمة سرور وليتيح له اقتناص الفرصة الذهبية في اللحظة المناسبة . . .

***

نداء الواجب

كان رجل الشرطة المناوب يتفقد الأمن في الضاحية الشمالية للمدينة ، وهي تهجع في سكون عميق ، وعندما وصل قرب منزل المفتش جميل فاجأه مرأى باب المرآب مرفوعاً إلى أعلى . . . تقدم بحذر مستعيناً بنور مصباحه الكهربائي ، يوجهه إلى كل ناحية ، وأخيراً دخل المرآب الفارغ ، واستبدت به الحيرة ، فهو منذ وقت قصير رآهم يدخلون بها . . . هل طرأ عليهم طارىء في هذا الوقت المتأخر ؟ . . .

هل يعقل أن تكون قد سرقت ؟ . . .

دون تردد تقدم من باب الحديقة ، وضغط على زر الجرس الكهربائي الذي أقلق المكان برنينه . . . وقبل أن يرى أحداً كان يردد بينه وبين نفسه :

ـ لا خسارة في السؤال . . . الواحد يطمئن على الأقل . . .

هب المفتش من نومه وانتقل بسرعة إلى الشرفة يستطلع الخبر . . . أمام الباب كان رجل الشرطة ينظر باتجاه الغرفة المضاءة فبادر المفتش الذي أطل بالقول :

ـ مساء الخير سيدي المفتش . . .

وأدى له التحية الواجبة ، فرد المفتش متسائلاً :

ـ مساء الخير يا حسني . . . ماذا هناك ؟ . .

قال الشرطي موضحاً :

ـ أثناء مروري من هنا وجدت باب المرآب مفتوحاً ، والسيارة ليست بداخله ؟ . .

لم يتوقع المفتش سماع خبر كهذا ، فهو نام بعد ذهاب الجميع إلى أسرّتهم ، فقاطع الشرطي بقوله :

ـ لحظة يا حسني . . . أنا آت إليك . . . انتظر . .

كانت السيدة سعاد قد استيقظت هي الأخرى ، فلحقت بالمفتش جميل وسألته بقلق :

ـ ما الأمر يا جميل ؟ . . .

أجابها وهو يتناول معطفه من على المشجب :

ـ إنه حسني . . . كان في نوبته الليلة فوجد باب المرآب مفتوحاً والسيارة ليست بداخله . .

استبد بها الذعر ، فهتفت بقولها :

ـ ماذا ؟ . . . وصل الاستهتار برجل الأمن إلى حد سرقة

سيارته ؟ . . . هل يجرؤ أحد على القيام بعمل مماثل ؟ . . .

أجابها مهدئاً :

ـ لا نعرف حتى الآن إن كانت السيارة مسروقة أم لا . . .

قالت بصبر نافذ :

ـ وأين هي إذن ؟ . . .

هبط المفتش بسرعة إلى المرآب حيث ينتظره المساعد حسني ، وبغريزة رجل الأمن الناجح ، تقدم من الباب ليكشف عن وجود كسر أو خلع ، ولكنه باء بالفشل ، فالباب لم يمس من الخارج ، عندها قال مستغرباً :

ـ لقد فتح الباب من الداخل . . . غريب . . . كيف حصل هذا ؟؟ . .

كان المفتش جميل ، يحمل هو الآخر قنديله الكهربائي الباهر الضوء ، فخرج من الباب المؤدي إلى الحديقة ، حيث دخل الشبان ، وبعد مسير عدة خطوات توقف يحملق في الأرض . . .

كان أمامه أثر لحذاء مطاطي عظيم الحجم . . . اقترب منه المساعد وسلط هو الآخر الضوء على المكان فيما قال المفتش .

ـ إنه أثر قدم كبير . . . لا شك أنها لواحد من الجناة . . .

حاول تتبع الأثر لكنه توقف عندما سمع صوت السيدة سعاد تناديه من على شرفة المنزل إلى جوارها ليلى ، تقول بخوف وهلع :

ـ جميل . . . الأولاد ليسوا هنا . . .

ارتسمت علامات الدهشة على وجه المفتش جميل ، فهو لم يتوقع سماع نبأ كهذا . . . فسألها بلهفة :

ـ ليسوا في المنزل ؟ . . . غريب . . .

تدخلت ليلى لتجيب هذه المرة :

ـ لا يا عمي . . . وكذلك فينو وسرور ، أظنهما معهم . . .

كظم المفتش غيظه ، واصطنع ابتسامة رسمها على شفتيه وهو يقول للمساعد :

ـ يا لهم من أشقياء . . . لا بد أنهم خرجوا للنزهة وقد تركوا الباب مفتوحاً حتى لا يزعجنا صريره . . . على كل حال لك الشكر يا حسني على سهرك على الأمن ويقظتك المستمرة . . .

انصرف المساعد ، وتوجه المفتش إلى غرفة نوم الأشقياء في الطابق الثاني ، كانت السيدة سعاد وليلى قد سبقتاه إليها . . . نظر إلى المشجب ليتأكد أن ثياب نومهم ما زالت في مكانها ، معلقة . . . فقال :

ـ يا لهم من شياطين . . . كان لديهم نية مبيتة بالخروج ، فتظاهروا

بالرغبة في النوم . . . حتى إذا استسلمنا للنوم . . . تسللوا خارجين . . . ولكن . . . أين ذهبوا ؟ لماذا غادروا المنزل في مثل هذه الساعة من الليل ؟ . . . لماذا لم يعلموني بخروجهم ؟ . . . كانت مخاوف السيدة سعاد تزداد كلما مر الوقت ، فقالت بخوف :

ـ أخشى أن يكون خروجهم في مغامرة من مغامراتهم . . .

انتبه المفتش ولم يستبعد الفكرة ، فنظر إلى ليلى يستطلع عندها الخبر ، فسألها :

ـ ليلى . . . هل أخبروكي عن سبب خروجهم ؟ . . .

كانت ليلى تنتظر منه مثل هذا السؤال . لأنها قرأت في نظراته إليها بعض مخاوفه ، فأجابت على الفور . . .

ـ لا والله يا عمي . . .

كانت السيدة سعاد تفكر بما حصل بعد رجوعهم من حديقة الحيوانات . . . وكان ذهنها شارداً يستعيد شريط الأحداث ، فلم تنتبه لسؤال المفتش جميل ، يقول لها :

ـ سعاد . . . وأنت . . .

قاطعته ، وقالت قبل أن تسمع ما يريد قوله :

ـ جميل . . . أعتقد أنهم عند اسماعيل صديق عصام . . .

استغرب استنتاجها . . . وظهرت علامات الاهتمام والدهشة لما تقول على محياه . . فسألها بدوره :

- عند اسماعيل ؟؟ . . .

أومأت برأسها بالإعجاب وتابعت قائلة :

- تحدث إلى عصام بالهاتف . . . وعقب الإنتهاء في المحادثة بدا عصام مضطرباً . . . أدرك المفتش خطورة الموقف في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . . . فأسرع إلى جهاز الهاتف وأجرى إتصالاً بمكتبه في مديرية الأمن . . . وبعد لحظة قال :

- آلو . . . من ؟ . . . آه مصطفى صباح الخير . . . من الضابط المناوب ؟ . . . صلني به . . .

كانت اللحظات تمر متباطئة في خيال المفتش قبل أن يستأنف الحديث قائلاً :

- آلو . . . مدحت ؟ . . . صباح الخير . . . هل وصلت إليكم نتيجة فحص البصمات التي طلبتها من الدائرة المختصة ؟ . . .

أنصت لمحدثه يسرد عليه التفاصيل والنتيجة والاهتمام يرسم ملامح مختلفة على وجهه تعبيراً عن كل ما يسمع . . . كان السيدة سعاد تنظر إليه بحرقة ولسان حالها يقول دون أن تتكلم :

- ما صلة حديثه باختفاء الأولاد ؟ . . .

ولكنها كانت تسمعه يقول بين الفينة والفينة . . .

- رائع . . . عظيم يا مدحت . . .

وبعد برهة وجيزة ، تهلل وجهه فجأة بالبشر وقال :

- نقيب مدحت . . . جهز قوة من اثني عشر عنصراً بأسلحة كاملة . . . واحملها بسيارتين مروا من هنا لأرافقكم . . .

وضع السماعة ، وسط دهشة السيدة سعاد وليلى وهرول إلى غرفة نومه ليرتدي ملابسه الرسمية . . . لحقت به السيدة سعاد لتسأله :

- ما الأمر يا جميل ؟ . . .

أجابها وإمارات الغضب ظاهرة على وجهه ، وفي نبرة صوته :

- صح ما توقعته . . . فإن المدعو حافظ بك الذي حضر إلى مكتبي للإبلاغ عن سرقة الكرات ليس حافظ بك ؟ . . .

لم تنتظر إجابة في هذا الأمر ،كل ما كانت ترجوه هو معرفة مصير الأولاد ، ولكنها سألته مستفسرة :

- ليس هو ؟ . . . ما معنى كلامك . . . ؟

أجابها وهو يتناول مسدسه ويتفحصه قبل أن يضعه في حزامه :

- إنه أمر يطول شرحه وليس وقته الآن . . . المهم أن هؤلاء الشياطين

أقحمواأنفسهم في قضية خطيرة إن صح ما توقعناه أنهم ذهبوا إلى منزله . . .

حافظت السيدة على رباطة جأشها وقالت والقلق يرسم علاماته على وجهها :

ـ جميل . . . لا تتركني فريسة الهواجس والأوهام . . . أوضح لي الأمر ريثما تصل القوة . . .

أجابها باقتضاب :

ـ **نتحدث** أثناء إعداد القهوة وشربها من يديك . . .

هزت رأسها واستدارت نحو المطبخ . . . وحرص أن يستغل الوقت فوقف إلى جانبها يشرح لها الأمر قائلاً :

ـ تلقيت ، منذ فترة ، بلاغاً من مجهول ، بدا لي غريباً ما ورد فيه . . . يقول إن السيد حافظ بك يمارس نشاطاً واسعاً في تجارة المخدرات . . . ولأن سجل حافظ بك ، قديماً ، لا يشير إلى أنه تعاطى أعمال**التهريب** أو تجارة الممنوعات . . . صرفت النظر عن مضمونه . . . إلَّا أن نهاية البلاغ تلفت النظر إلى مراقبة مستودعاته ، خاصة التي يستعملها لتخزين طابات «**البلياردو**» **ولوازم** هذه الرياضة . . . وشدد البلاغ على مراقبة آخر طلبية له ، وهي الخاصة بالكرات الحمراء . . .

أنهت السيدة سعاد إعداد القهوة، وسكبتها في فنجانين، وتوجهت مع

المفتش إلى غرفة الجلوس . . . والمفتش لا زال يتابع حديثه قائلاً :

ـ . . . أجرينا تحريات سريعة ، ووضعنا المخازن وكل ما يدخلها أو يخرج منها من بضائع تحت المراقبة . . . أتدري ماذا كانت حصيلة مجهودنا . . . لا شيء يدين السيد حافظ . . . فاعتبرنا الأمر بحكم المنتهي . . . ولكن لم يرد أي تقرير بخصوص الكرات الحمراء . . لذلك لم أقفل الموضوع نهائيا . . . وبقيت قصة الكرات الحمراء تداعب مخيلتي . . . لماذا حدد المخبر الكرات الحمراء وبالذات ؟ . . . حتى يوم دخول البك شخصياً مكتبي للإبلاغ عن سرقة بعض علب الكرات الحمراء . . .

كان لا زال يرشف القهوة ، وهو يسرد عليها التفاصيل ، وينظر بين لحظة وأخرى إلى ساعة معصمه ليحدد الوقت اللازم لوصول عناصر القوة . . . ولما كان هناك متسع من الوقت أردف يقول :

ـ شككت بأمر الرجل منذ البداية . . . وأثارت هيئته شريطاً من الذكريات . . . خُيل إليَّ أنني التقيت الرجل ذات مرة . . . ولكن أين ؟ . . ما المناسبة ؟ . . . ومع هذا رحبت به عندما شاهدته يدخل إلى مكتبي . . . وأمرت له بالقهوة فوراً . . . وبعد برهة تركته يرتشف ما تبقى في فنجانه واعتذرت منه لأغادر في مهمة . حيث طلبت من بعض رجالنا المختصين تصوير بصماته وتحليلها ، بعد أن ارتسمت على الفنجان وعلى كوب الماء المرافق . . . قام **رجالنا بالعمل** خير قيام وارسلوا **لإدارة**

تحقيق الشخصية ما تم تصويره للتعرف على صاحبها . . . هل تعلمي ماذا كانت النتيجة ؟ . . . لقد تأكدت ظنوني . . . وثبت أن البصمات تخص مجرماً خطيراً يدعى محفوظ . . . لم يمض عليه وقت طويل خارج السجن بعد نزوله ضيفاً عليه لمدة خمس عشر سنة فقط . . .

كانت تسمع روايته ولكنه انتهى دون ذكر الأولاد ، فثار الشك في نفسها من جديد وسألته بقلق :

ـ وما شأن القصة بما نحن فيه ؟ . . . أريد الأولاد يا جميل . .

نظر إليها بحنان الأب الذي لا يقل قلقاً على مصير أبنائه عنها ، وقال يخفف عنها :

ـ شأن كبير ، وصلة وثيقة جداً إذا علمت أن المدعو محفوظ هو الشقيق التؤام لحافظ بك . . . هل أدركت الصلة؟ . . . يحضر حافظ بك إلى مكتبي فإذا البصمات لمحفوظ ؟ . . . هل فهمت ؟ . . . .

قالت وإمارات الدهشة تبدو على محياها :

ـ ما هذا ؟ . . . انتحل شخصية شقيقه ؟؟ . . .

هز رأسه موافقاً وقال :

ـ وهذا أيضاً ، يفسر سوء معاملته لإسماعيل المسكين . . . وما أخشاه هو تدخلهم في القضية وحضورهم تلبية لرغبة اسماعيل . . .

قبل أن ينهي المفتش كلامه ، تناهى إلى سمعه هدير محرك سيارة توقفت بالقرب من منزله ، وأطلق السائق صفارة خاصة يعرفها المفتش فتحرك من مكانه وهو يقول لزوجته :

ـ إلى اللقاء . . . سأتصل بك إن جدَّ شيء . . .

وانضم إلى أفراد القوة في طريقهم إلى الضاحية الشرقية قاصدين قصر حافظ بك . . . كان المفتش جميل يوجه إرشاداته لأفراد المجموعة ويوزع عليهم المهام . . . وهناك ، قرب القصر المقصود ، توقفت سيارات الشرطة ، وتوزع الرجال في المكان فيما تقدم المفتش جميل إلى باب القصر برفقة بعض رجاله . . .

* * *

عودة الشقي الى سجنه

كان لا يزال أفراد الفرقة يقفون في مواجهة العم الموقور وبينهم اسماعيل المسكين فيما كان سرور يتابع زحفه البطيء حتى أصبح خلفه في وضع يسمح له بالانقضاض عليه ، وفجأة . . . دوى صوت خالد في المكان يقول . . .

- سرور . . .

وقبل أن يدرك المجرم من المقصود بهذا ، كان يتهاوى الى الخلف ، وقد وقع المسدس من يده . . . فقد قفز سرور بين كتفيه وشده بشعره الأشعث بقوة أفقده معها توازنه ، وضرب بيمناه على يمنى الرجل مبعداً المسدس عن متناول يده . . . بينما كان يسراه تعبث في وجه الرجل الملقى على الأرض لا يدري ماذا أصابه . . . و . . . كانت اللحظة التي طال انتظارها . . . فقد هجموا هجمة رجل واحد على المجرم وتناوله وليد بضربة قوية قضت على أمله بالمقاومة . . . وإمعاناً في شل حركته راحت أصابع سرور تعبث بعيني محفوظ فتمكن الشبان الأذكياء من السيطرة على الموقف في لحظات خاطفة . . .

انتهوا من تكبيله نهائياً عندما سمعوا صدى رنين الجرس يتجاوب في



أرجاء المكان . . . أطل إسماعيل من الشرفة ، فطالعه المفتش جميل ورجاله . . . فقال **بخوف** :

- يا إلهي . . . إنه والدك يا خالد . . .

وجم خالد برهة قال بعدها :

- وهل أتى بمفرده ؟ . . .

دقق إسماعيل النظر من جديد **وأجاب** :

- إنه برفقة رجال الشرطة . . .

ابتسم خالد ابتسامة عريضة ، وهلل الجميع فيما ارتفع صوت خالد يقول :

- إفتح لهم يا إسماعيل . . . لقد آن لوالدك أن يستعيد حريته . . . تم كل شيء بسرعة . . . ودخل عناصر القوة لإلقاء القبض على المجرم **محفوظ** . . . وقادهم الشبان الى القبو لإلقاء القبض على أفراد عصابته ولكن المفتش لم ينس ما سببه الأذكياء من قلق للسيدة سعاد **فقال** :

- الويل **لكم** أيها الأشقياء . . . لن أغفر **لكم** فعلتكم هذه المرة ؟ . . .

سالت على خدي اسماعيل عبرات بللت وجهه ، وتقدم إلى المفتش الذي تأثر لمنظره ورجائه وهو يقول له :

- وإن رجوتك يا عمي . . . لقد لبوا ندائي لينقذوني من عمي **محفوظ** . . هذا المجرم الذي كان يريد قتلنا أنا وأبي . . .

سرت في أوصال المفتش قشعريرة خفيفة نتيجة تأثره لكلام إسماعيل ، وقال له :

- والدك ؟ أين هو ؟ . . .

أجابه على الفور . . .

- إنه سجين يا عمي . . . أرجوك . . . أرجوك . . .

لم يتركه يكمل كلامه ، بل طرح عليه السؤال التقليدي :

- وأين هو . . .؟ لا عليك سنطلق سراحه . . .

ثم توجه إلى خالد بقوله :

- وأنتم . . . إذهبوا إلى المنزل والدتك تنتظر على أحر من الجمر . . .

حاول خالد تبديد الغضب الذي واجههم به المفتش ، فقال له :

- بابا . . . ألم يكن عملنا **رائعاً** . . .

ابتسم وقال لهم :

- شياطين . . . ولكن لا يسعني إلاّ تهنئتكم . . . كان عملكم أكثر من رائع . . . فقد ساعدتم على زج واحدة من **أخطر** عصابات تهريب

المخدرات في السجن . . .

قال إسماعيل بلهفة وبراءة :

ـ أتسمح لي بسؤال يا عمي . . .

نظر إليه بحنان موافقاً ، فأسرع إسماعيل بالكلام قائلاً :

ـ ما سر الكرات الحمراء . . .

ابتسم المفتش قبل أن يجيبه على سؤاله ، وقال :

ـ أعتقد أنها تحتوي المخدر . . وكما تعلم إن «كرات البليارد» ثقيلة الوزن فإذا أمكن تهريب مئة كرة منها تحتوي على المخدر ، لأمكن تسريب كمية لا بأس بها،سنتأكد من الأمر على كل حال . . . أما الآن فأريد أن تذهبوا مع إسماعيل إلى المنزل ، فالسيدة سعاد قلقة عليكم . . .

كان سرور وليد عظيماً ، فهتف قائلاً :

ـ عاش عمي جميل . . .

لوح لهم المفتش جميل وانصرف بالصيد الثمين الذي لم تؤدبه سنوات السجن الخمس عشرة . . . واستقلوا السيارة وسط ترحاب فينو بهم على طريقته الخاصة . . . ودون إبطاء ، توجهوا بها إلى المنزل ليجدوا السيدة سعاد ترقب قدومهم على الشرفة ، وما ان لمحها خالد حتى قال :

ـ يا لقلب الأم . . .

تقدم خالد بالسيارة قرب المنزل ، ولم يدخل بها إلى المرآب كالعادة ، وسرعان ما ترجلوا منها وبسرعة خاطفة كانوا يتقبلون تهنئة السيدة سعاد بسلامتهم . كان خالد يتوقع منها سؤالهم عما جرى وعن الدافع لخروجهم . . ولكنهم لم تفعل ، مما أجبره على سؤالها :

ـ كأن ما جرى لم يفاجئك ؟ . . .

ضحكت بحنان ، ومدت يمناها تداعب أذنه بقرصة خفيفة وهي تقول :

ـ كيف يفاجئني وقد أخبرني والدك بكل شيء ؟ . . .

تبادلوا نظرات بلهاء ، وفغر كل منهم فاه دهشة ، حتى أن بعضهم تدلت شفتاه . . . وأخيراً . . . وبعد برهة صمت ، سألها خالد :

ـ هل كان يشك بالأمر ؟ . . .

ابتسمت وهزت رأسها بالايجاب وقالت تؤكد كلامه :

ـ وهل تظن أن عين العدالة تغفل عن الشر وأصحابه ؟ . . .

* * *

تمت



الحلقة القادمة

في الحلقة القادمة يتلقى المغامرون الأذكياء هدية سخية من جدهم ، سيارة جديدة ، ويذهبون لاستلام السيارة . وهناك يتعرضون لمحاولة اغتيال جماعية ، تهدف الاسرة كلها .

من هو المجرم ؟ وما هي دوافعه ؟ وكيف يستطيع المغامرون الأذكياء معرفته ؟

هذا ما نعيش معه في أجواء الحلقة الشائقة القادمة « مروض الحيات » .

رقم: 82 - 63/17

لئن كانت غاية القصة « البوليسية » جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا – في الغالب – العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا « البوليسية » هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص . مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع . والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحَضّت عليها .

بالفخر الكبير . نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .

صدر من : « المغامرون الاذكياء » :

١ ـ واحة الاشباح
٢ ـ العصابة الخفية
٣ ـ بائعة الورد
٤ ـ خمسة جنيهات ذهبية
٥ ـ بيت الاسرار
٦ ـ سجين القلعة
٧ ـ سر العصافير
٨ ـ الكنز الاغريقي
٩ ـ تاجر المجوهرات
١٠ ـ عش الثعلب
١١ ـ مغامرة في الصحراء
١٢ ـ بائع الناي
١٣ ـ رسول منتصف الليل
١٤ ـ المهرب المجهول
١٥ ـ السجين الهارب
١٦ ـ القصر المهجور
١٧ ـ الكرة الحمراء
١٨ ـ مروض الحيات
١٩ ـ المجوهرات العائمة
٢٠ ـ منزل من ذهب
٢١ ـ المنطاد الأسود
٢٢ ـ الانتقام الرهيب
٢٣ ـ العناكب الحمراء
٢٤ ـ الطائرة الفضية
٢٥ ـ رسالة مجهول
٢٦ ـ الحقيبة السوداء
٢٧ ـ السائح المزيف



سلسلة

المغامرين الأذكياء

الكرة الحمراء

ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

١٧

دار النفائس



هذا العمل هو لعشاق الكوميكس و هو لغير أهداف ربحية و لتوفير المتعة الأدبية
برجاء ابتياع النسخة الأصلية المرخصة عند نزولها الأسواق لدعم استمراريتها ...

This is a fan base production not for sale or
ebay please delete the file after reading
and buy the original release when it hits
the market to support its continuity